

الألفاظ الهندية المعربة

من مظانها الواحدة:

الدكتور محمد يوسف
أستاذ اللغة العربية - جامعة كراتشي (باكستان)

أوربا إلى الشرق الأدنى « (الحضارة الإسلامية ،
1950 ، ص 4) . كذلك يعتبر اهتداء واسكودي
كاما (Vasco da Gama) إلى طريق الهند نقطة
التحول في العلاقات بين الشرق والغرب ، وحقا لئن
كانت صفقة تفوق صفقة أبي غبشان في الخضارة
والغبن ، فهي تلك التي جعلت أسد البحر ابن ماجد
يقود رائد البرتغاليين إلى ميناء كاليكت (Calicut)
في سنة 1498 م .

مآثر تجارة الهند والصين في التطورات السياسية
بين الامم الشرقية والغربية معروف عند كثير من
المؤرخين بإبرازه وتقدير خطورته ، إلا ان هناك ناحية
أخرى طالما بقيت غامضة مطوية لم تلق الاهتمام
اللائق بها إلا منذ زمن قريب ، ألا وهي تأثير العلاقات
التجارية بالهند وما وراء الهند في حضارات الفرس
والعرب والروم في العصور القديمة والوسطى ، ولا
أجد ما أقدم به لهذا الموضوع أحسن مما كتبه
البرونسور هيرن (Heeren) العالم المتخصص في
العلاقات التجارية الدولية القديمة وهذا نصه :

لمتازت الهند منذ أقدم العصور بوفرة وتنوع
انتاجها النباتي والحيواني والمعدني كما أنها اشتهرت
بجودة الصناعات المختلفة المرتكزة على ذلك الانتاج
الطبيعي ، ثم هي تصاقب من الناحية الشرقية بلاد
الصين التي اقتصت بطائفة أخرى من الحاجيات
والكماليات التي لم يكن للعالم الغربي يدمنها ، ومن
هنا نشأت « التجارة الشرقية » التي تنافس عليها
المتنافسون من الفرس والعرب والروم ، وأخيرا اقوام
أوربا الغربية ، اعني البرتغاليين والفرنسيين
والهولنديين والانجليز ، وقد استمرت هذه التجارة
العالمية تجري من الشرق إلى الغرب حتى غير مجراها
الالات والمخترعات الحديثة وما أدت إليه من الانقلاب
الصناعي والتقدم الاقتصادي في الممالك الغربية .

لقد كان لهذه التجارة اثرها الفعال في مداولة
الايام بين الناس ، فمثلا يقول العلامة بارتولد :
« صارت ايران مزاحمة قوية للدولة الرومانية في زمن
الساسانيين ... واستولت برا وبحرا على طريق تجارة
الهند والصين ذات الخطر لجميع العالم المتحضر ،
وبهذا الحادث يبتدىء انتقال التفوق في الحضارة من

الجغرافي ، أكثر تلك الشعوب اتصلا وحرصا على الاحتفاظ بدورهم في حركة استيراد المنتجات الهندية المختلفة ونقلها عبر أراضيهم الى شواطئ البحر الابيض المتوسط ، ولئن كنا نأسف حقا لعدم وجود المصادر اللازمة للحصول على معلومات وافية عن نشاط العرب في هذا الميدان فيما يتعلق بالمعصور السابقة للإسلام ، ففي وسعنا ان نتلافى هذا النقص بالرجوع الى لغة العرب وآدابهم (1) ودراستهما دراسة مقارنة الى جانب اللغات الهندية مثل ما فعل العلماء الأفرنج بشأن دراسة علاقات الروم بالهند ، وبما ان العرب كانوا في موقع وسط بين الروم والهند فقد الفت بحوثهم أضواء على العلاقات العربية الهندية الا انها ، بطبيعة الحال ، أضواء جانبية فقط ، أما موضوع العلاقات العربية الهندية بالذات فقد بقي مغمورا مجهودا لا لشيء الا لعدم اتساع علم اللغويين الاول والمعنيين بالمعرب والدخيل في العربية الى الهند ولغاتها ، نراهم — وكثير منهم ينتمون الى أصل فارسي — يقتصر على أرجاع الكلمات الى الفارسية ، وفي بعض الأحيان يتقنون حائرين أمام كلمات لا يجدون لها أصلا بالفارسية فيأتون بتعليقات من الخيال (2) ان دلست على شيء فهو ان الكلمة عدت غريبة في نظرهم ، وأخيرا الفت دراسات الغربيين النظر الى هذا الموضوع الشيق فاقبل عليه العلماء الهنود بجد واهتمام ،

وفعلا اثمرت جهودهم ثمرة طيبة من حيث انها مهدت الطريق أمام الباحثين في المستقبل الى ميدان واسع بكر .

*/

هناك ثلاث طرق سارت عليها تجارة الهند الى موانئ البحر الابيض المتوسط :

"Of all the divisions of Asia the southern, containing the territory of Hindustan, is distinguished by the richness and diversity of its productions. Here we not only find, with very few exceptions, all the products of other parts of civilised Asia, but so great a variety peculiar to its own climate, that it would appear as if a new and more beautiful creation had sprung up under the hand of nature. Nearly all the spices, which become necessary to mankind in exact proportion to the progress of luxury and refinement, have at all times been peculiar to this region, while two of the most important articles used in clothing, viz., cotton and silk, were first produced here, and continue to be so in an especial degree, though their cultivation has been gradually extended to other countries The influence which an intercourse with India may have had on the civilisation of mankind, is a question worthy the close attention of the philosophical student of history; and one which, notwithstanding the important illustrations it has of late received, has been by no means sufficiently elucidated. It is of the greatest consequence to ascertain the channels through which, at various periods, it found its way, or into which it was conducted; and the whole course of history tends to prove that the countries which became the staples or depots of this commerce, uniformly attained a high degree of opulence and refinement; which, however, gradually changed the habits and corrupted the manners of their inhabitants; at the same time that these were softened, sowing among them the seeds of luxury, and consequently of decline and ruin." A. H. L. Heeren: *Historical Researches into the Politics, Intercourse and Trade of the principal Nations of Antiquity*, Oxford, 1833, vol. I, pp. 35-56.

اذن كان من اثر تجارة الهند ان تطورت سبل المعيشة واساليب الحياة ، بل وتغيرت الامزجة والطباع لغير واحد من الشعوب القاطنة غربي الهند، وغني عن القول ان العرب ، بالاشتراك مع الفرس كان الخليج الفارسي ، كانوا ، بطبيعة مركزهم

(1) يقرر الاستاذ هيرن هذا الاصل بقوله :

"We too often find ourselves without the information necessary to follow the course of trade into the most remote regions; but when we meet with the mention of articles which are unquestionably peculiar to certain countries, we are warranted in concluding that a communication then existed with those countries, though we may be unable to define its nature and extent. A piece of sugar or a morsel of pepper in a neglected corner of a village inn would be a certain proof of the trade with either Indies, even if we possessed no other evidence of the commerce of the Dutch and English with these countries." Heeren, 139-40.

(2) راجع مثلا تحقيقنا عن « الفالج » و « القلبي » والكلام على « الشمال » في الصفحات التالية .

1) برا من المرات على الحدود الشمالية الغربية للهند الى بلخ ، ثم على خط سير القوافل شمال صحراء كرمان الى المدائن الى انطاكية والموانئ المجاورة لها .

ب - بحرا من الساحل الغربي للهند الى الخليج الفارسي مصعدا بالفرات ثم برا الى انطاكية والموانئ المجاورة لها .

ج - بحرا من الساحل الغربي للهند الى ساحل عمان الى ساحل اليمن ومن هناك اما على طول ساحل البحر الأحمر أو على خط سير القوافل الى موانئ سوريا وفلسطين .

غني عن القول ان الطريق البري استخدم قبل ان يستخدم الطريقان البحريان ، فعلا وجد علماء الآثار ما يؤكد ان العلاقات بين ارض الأنهار الخمسة (البنجاب) وارض الرافدين ترجع الى عشرين القرون قبل عهد التاريخ المنتظم (3) الا ان التجارة عن هذا الطريق كانت عبارة عن انتقال البضائع من قبيلة الى أخرى ضد احوال طبيعية صعبة وكانت ايضا متأرجحة لعدم استقرار الاحوال السياسية ، ولذلك كان التحول الى الطريق البحري ايدانا بزيادة ملحوظة في التبادل التجاري بين البلدين .

والدليل الموثوق به على جلب البضائع برا من الهند فيلة (4) على سلسلة (Shalmanassar) (858 - 824 ق . م) ذكرت باسم غير معهود في الآشورية هو (Baziati) عن السنسكريتية (Vasita) وبما ان الفيلة ذكرت الى جانب « الابل من (Bactria) ذات السنامين » يتأكد لدينا انها نقلت بالطريق البري عبر الحدود الشمالية الغربية للهند (5) .

ولا بأس بان نقف قليلا عند ذكر « الابل من Bactria » في القرن التاسع ق.م فنلاحظ أن من أشهر

واعز اصناف الابل عند العرب « البختية » وهي على حد قولهم « الابل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج » (اللسان) والفالج : البعير ذو السنامين... يحمل من السند للفحلة (الصحاح) وصف الفالج بهذه الصفة ابن حوقل سنة 350 هـ (6) والمقدسي سنة 375 هـ حيث يقول هو الآخر :

(من خصائص السند) « الفالج الذي تسراه بالشرق وفارس يولد البختي وهو أعظم من البخت له سنمان مليح لا يستعمل ولا يملكه الا الملوك ولا تكون البخت الا منه » (7) .

والفالج كلمة سندي محلية والجيم فيها علامة العجمة لا غير مع ان بعضهم لم يعد مهم التعليل بأن الفالج « يسمى بذلك لان سنانه نصفان » (المخصص 68/7) !!! وكذلك البختية « دخيل في العربية اعجمي معرب » (اللسان ومثله في المخصص 135/7 عن صاحب العين) . اذن فما هو اصل الكلمة ؟ لم ينصوا عليه بل ربما لم يهتموا اليه حتى ان بعضهم اجترا على القول بأن الكلمة عربية (انظر اللسان) ... على كل حال ما من شك في ان « البختية » لم تكن غير « الابل من Bactria » .

ومن الجدير بالملاحظة ايضا في هذا الصدد ان اصحاب المعاجم قد فرقوا ، جريا على عادتهم ، بين مادتي « بخت » و « بخر » الا ان مشية الجبال البختية طوال الاعناق ذات السنامين هي اشبه شيء بمشية الخيلاء وقد جرت العرب على هذا المنوال في قولها « تفخخت » من مشي الفاخرة (المخصص 109/3) ومن الثابت ايضا انها كانت تصف النساء « بالبخت » قال الشاعر :

وفيهن من بخت النساء سبحة
تكاد على غر السحاب تروق (9)

Wilson: The Persian Gulf, p. 28 (3)

4) الفارسية « pil » السنسكريتية « pilu » الا ان بعض العلماء يذهبون الى ان هذه الكلمة ليست اصيلة في السنسكريتية . انظر Hobson-Jobson, (Supplement, « Elephant »

5) Kennedy, J.; Early Commerce of Babylon with India. JRAS, 1897, p. 242-288

6) المسالك والممالك ص 231 .

7) أحسن التقاسيم ص 482 .

7) أحسن التقاسيم ص 482 .

8) انظر Dozy: Supplement

9) سمط اللالي 351 .

2 — العبرية (almug) (14) عن السنسكريتية والتاميلية (valgu) .

3) المبرية (Koph) القردة عن السنسكريتية (Kapi) (قارن المصرية القديمة (Kafu)) .

4 — العبرية (thuki-im) عن التاميلية (tokei-togai) وعنها الفارسية والعربية « طاووس » .

هذا بالإضافة الى الذهب والفضة والاحجار الثمينة التي تتألف منها قائمة البضائع المستوردة من الهند على ذلك العهد (15) .

ولا يخفى ان هذه الأدلة ، قليلة كما هي ، قد تناولها بعض العلماء بالتجريح والرفض (16) الا انهم في الوقت نفسه أكدوا أن عدم توفر الدليل لا يعني وجود ما يمنع التجارة البحرية ، بل بالعكس امتاز الدراوريون (Dravidians) سكان جنوب الهند منذقديم الزمان بالاتجاه الى الملاحة .

ومنذ القرن السادس ق.م ينقشع الظلام وتتوفر لدينا الأدلة القاطعة على ازدهار التجارة البحرية ، منها :

1 — العثور على قطع من الساج (الرهتية (Sag)) وغيره من الاخشاب الهندية في قصر نبخت نصر (Nebuchadnezzar) (604 — 562 ق.م) وفي معبد اله القبر الذي جدد نبخت نصر ببناءه ب(Ur) .

2 — انتشار عدد كبير من البضائع الهندية في اليونان حيث كانت ترد عن طريق بابل ولا تزال

اما العلاقات التجارية البحرية بين المنطقة الممتدة من الخليج الفارسي الى البحر الأحمر وبين الهند فمن المقطوع به انها راسخة في القدم الا ان الأدلة فيما يتعلق بالفترة السابقة لسنة 700 ق.م ليست بكثيرة ، من اهمها :

1 — ورد في الكتابات التي ترجع الى ما قبل 2000 ق.م ان الاكاديين كانوا يستوردون الاخشاب من (Magan) اي عمان ، ويرجح ان تلك الاخشاب انما كان اهل عمان بدورهم يجلبونها من الساحل الغربي للهند (10) .

2 — كلمة (Sindhu) الواردة في مكتبة (Assurbanipal) (668 — 626 ق.م) انما يرجع أصلها الى الهند وهي تعني « القطن الهندي » ومنها العبرية (Sadin) والعربية « سدين » (11) .

3 — كلمة « Karpas » العبرية توافق السنسكريتية « Karpasa » .

4 — في القرن العاشر ق.م استعان سليمان ، جريا على سياسة أبيه داود ، بالفينقيين لتنشيط حركة الملاحة والتجارة بين ميناء (Ezion Geber) (العقبة) (12) و Abhira = Ophir اعالي الساحل الغربي للهند (13) وتعد الكلمات الآتية من آثار هذه الحركة التي كانت ولا شك اقدم بكثير من عهد سليمان ، ولم يكن منه الا أن جعلها مباشرة بعد ان كانت تجري على أيدي وسطاء كثيرين :

1 — العبرية « Shen Habbin » = « سن الفيل » (العاج) عن السنسكريتية « ibha-danta » .

- (10) انظر Wilson: The Persian Gulf, p. 27 ولعل Magan هي « مزون » بالعربية .
(11) H. J. Rawlinson: Intercourse Between India and the Western World, Cambridge. 1926, p. 2-3
(12) لقد أمكن تحديد الموقع بتل الخليفة غربي العقبة على اثر الاعمال التي قامت بها بعثة أمريكية هناك اثناء 40 — 1938 م .
(13) اختلف كثيرا بشأن Ophir بعضهم قرأوا الكلمة Sophir « سوبارة » بالهند أيضا او « ظفار » باليمن او « سفالة » الزنج ، الا ان المرجح انها كانت بالهند .
(14) نوع من الخشب الثمين ، الصندل الاحمر على الأرجح راجع Cheyne : Ency. Biblica
(15) Rawlinson, pp. 10-11
(16) في مقدمة هؤلاء الأستاذ J. Kennedy الذي مضت الإشارة اليه .

الإلغام اليهم) قيل أنهم اثاروا اعجاب أهل بابل بالغرابة
تارة وبالطاووس تارة أخرى .

ولا يفوتنا في هذا المقام التنويه بأن تجارة الهند
هذه كانت السبب الرئيسي في رخاء بابل وعظمتها التي
بلغت أوجها في هذا العصر حتى اثارته حسد فرعون
مصر (نخاو) (Necho) 612 — 596 ق.م) فما كان
منه الا أن بذل الكثير من الاموال والارواح في سبيل
اعادة بناء القناة الموصلة من النيل الى البحر الأحمر،
تلك التي كان امتتحها لأول مرة (Sesostris)
في القرن العشرين ق.م .

/*

وقد كان لهذه العلاقات أيضا اثر خالد في أربع
من اهم نواحي الحضارة في الهند :

I — الخط البراهمي (Brahmi) ، الذي تفرعت
منه الخطوط الهندية المختلفة، انما كان من أصل سامي
توي الشبه بالحروف الفينيقية الى درجة تؤكد أنه دخل
الهند عن طريق الساحل الغربي على أيدي التجار
الفينيقيين وقد حدد الدكتور بوهلر (Dr. Bühler)
تاريخ دخوله الهند بسنة 800 ق.م ومع أن هذا
التحديد لا يزال موضع نقاش الا أنه من البديهي أن
الخط لابد أن يكون قد مضى عليه قرون قبل أن
يتطور فيتلاءم مع مقتضيات اللغات الهندية كما يبدو

اسماؤها اليونانية والعربية ترشدنا الى أصلها فمثلا :
السنسكرتية (Chandan) = العربية (صندل) .
التاملية (Arisi) = العربية (الأرز) (17) .
التاملية (Karppu) = العربية (قرفة)
التاملية (Inchiver) = العربية (زنجبيل) .
التاملية (Pippalij) = العربية (غفل) .
السنسكرتية والتاملية (18) (Vaidurya)
= العربية (بلور)
السنسكرتية (Kirmi) = العربية (قمرز)
فهذه هي بعض الكلمات الهندية الأصل التي
دخلت اللغة اليونانية عن طريق بابل في الفترة التي
نحن بصدها (19) .

وقد بحث العلماء عن التطورات التي ادت الى
نمو التجارة البحرية بين بابل والهند في القرنين
السابع والسادس ق.م فوجدوا أن تلك الظاهرة توافق
تفكيك (Sennacherib) بالكلدانيين واحلال الفينيقيين
محلهم في سنة 694 ق.م لأن الكلدانيين الذين سكنوا
« سيف البحر » (20) منذ القرن التاسع ق.م لم يكن
لهم من التفوق في الملاحة ما كان لأترانهم الفينيقيين
الذين جلبهم الملك الآشوري من أعالي دجلة والفرات
وعلى هذا يمكن القول بأن شجاعة الفينيقيين
وخبيرتهم بأعمال الملاحة والتجارة التي اكتسبوها في
موطنهم الغربي هما اللتان تغلبتا على مخاوف البحر
الهندي (21) . ومن ناحية أخرى نجد في المصادر
الهندية الراجعة الى هذا العهد ولاسيما المجموعة
المسماة بـ « Baveru Jataka » قصصا عن
التجار الهنود (أغلبهم من الدراويرين الذين مضى

(17) الرز والأرز والرنز لغات فيه (* الإنجليزية « Rice ») وقد اتجه بعض العلماء أخيرا الى الاعتقاد
بأن المركز الذي انتشر منه الأرز في العالم هو التركستان ولذلك قالوا أن أصل الكلمة هو
« virinzi/virinza » بالفارسية القديمة = « briinj » بالفارسية الجديدة = « vrihi » بالسنسكرتية .

انظر : Sir George Watt: The Commercial Products of India
London, 1908, p. 824 etseq.

وليعلم أن كلمة أخرى مماثلة « البهط : الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة » هندية أيضا كما جاء في
المخصص 3/5 وأصلها « bhata » .

(18) بالبراكرتية « Vailurya » انظر : Hobson-Jobson « Beryl »
(19) Rawlinson, p. 14

(20) « Sealand » الوارد ذكره في الكتابات السامرية والممتد من مصب الفرات الى
= البحرين (فارس نامه لابن البلخي تذكرجرب ، 1921 م ص 140) ويظهر أن العرب كانوا يعنون
بـ « السيف » هذا السيف الغربي للخليج الفارسي خاصة ، قال الأحنس بن شهاب :
لكيز لها البحرين والسيف كلسه وان ياتها بأس من الهند كارب (المفضلية 41 / 9)

(21) راجع مقال Kennedy السالف الذكر .

في الكتابات التي يرجع عهدا الى القرن الثالث ق م وهي اقدم الكتابات التي عثر عليها في الهند (22) .

2 — نظام منازل القمر المهود عند الهنود انما هو مأخوذ من بابل . (Nakshatras)

3 — يرجح الاستاذ كينيدي (Kennedy) أن الهنود انما اقتبسوا نظام التعامل بالعملة المعروفة بـ « Puranas » مما كان متبعاً عند أهل بابل (23) ولا يخفى أن (Puranas) اقدم عملة عرفت بالهند وقد استمر التعامل بها الى عهد قريب ، ويرى كاتب هذا المقال انها هي المعنية بـ « الفهري » عند مسعر بن مهلهل (24) و « الفهري » (تصحيف « الفهري » أو « الفهري ») ، عند المقدسي (25) .

4 — يتبين بعض العلماء علاقة ما بين الاوزان الهندية القديمة وبين مثيلاتها عند أهل بابل مثل « المن » اذ ان امرها مشكوك فيه جدا (26) .

/*/

في سنة 538 ق.م : امتدت سيطرة الفرس على بابل وغرب آسيا كلها وامتازوا بالجمع بين مصر من جهة ووادي السند من جهة أخرى في جورتهم الا ان هذه الميزة ، التي لا يمكن التقليل من أهميتها ، لم تستخدم ، كنتيجة للمنازعات السياسية ، لتسهيل التبادل بين المناطق الثلاث (البنجاب وبابل ومصر) التي كانت أهم مراكز التجارة الدولية ، ومن ثم يعتبر هذا العهد — عهد الأخمينيين (Achaemenians) الذي

/*/

في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م. قلب الاسكندر الاوضاع ببسط سلطانه الى حدود السند

- (22) Cam. Hist. of India I, pp. 140-142 وانظر ايضا دائرة المعارف البريطانية « Sanskrit »
- (23) راجع الجزء الثالث من مقاله الذي سبقت الاشارة اليه .
- (24) البلدان لياقوت « الصين » : « درهمهم (أهل كله) يزن ثلثي درهم ويعرف بالفهري » .
- (25) أحسن التقاسيم 482 — في نسخة « الفهري » وليعلم ان المقدسي نفسه ينص على القهريات غير « القاهريات » أو « القندهاريات » (كما عند ابن حوقل 228 والاصطخري 173) = كل درهم منها خمسة دراهم .
- (26) Rawlinson, p. 15
- (27) لعل تحول تجارة الهند عن طريق الخليج الفارسي الى طريق البحر الأحمر كان قد بدا في عهد نبخت نصر ويعلل ونسنت Vincent تخريب ذلك الملك لمدينة صور بهذا السيف نفسه . انظر Wilson, p. 33 .
- (*) بحذاء هجر في الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع « العتير » وهي الآن ميناء صغير وعلى مقربة منها خرائب يعتقد العلماء انها موضع (Gerrha) = جرها . (الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 140/1) .

وسرعان ما أبدى اهتمامه بإعادة النشاط التجاري بين ساحل الهند والخليج الفارسي فأرسل بعثة استكشافية لهذا الغرض تحت قيادة (Nearchus) على غرار ما كان فعله دارا الأكبر من قبل إلا أن موته حال دون القيام بأي عمل آخر في هذا الشأن. أما خلفاؤه الذين اقتبسوا المملكة بينهم فقد شغلوا بالحروب الأهلية حتى أن السلوقيين (Seleucids) لم يكن يهمهم غير الحصول على الفيلة من الهند عن طريق إيران كما أن خصمهم في مصر بطليموس الثاني كان معنى بجلب ذلك الحيوان من الحبشة لأغراض حربية ولكن السى جانب ذلك تلاحظ أن العلاقات بين ملوك الهند من جهة وملوك الشام ومصر من جهة أخرى كانت في هذه الفترة أكثر وثوقا من ذي قبل ، لا أدل على ذلك من ومسود (Megasthenes) و (Dionysius) سفيرين لسلوكس وبتليموس على الترتيب لدى بلاط جندر كبت موريا (Chandragupta Maurya) ومما يذكر عن ملك الهند هذا أنه أقام عددا من الموظفين للاتصال بالأجانب والسهر على راحتهم أثناء زيارتهم للهند ويستنتج من هذا كله أن التجارة بين الهند والخليج الفارسي لم تكن قد وفتت أو هبطت إلى درجة كبيرة، ثم ساعدت الأحوال السائدة بأعالي الخليج على تركيز هذه التجارة في أيدي أهل Gerra الذين ربما كانت تتألف أغلبيتهم الآن من العرب وفي نفس الوقت كان نشاط سبأ في ازدياد مستمر وقد شاركهم في هذا النشاط التبتيون بأعالي البحر الأحمر ، أولئك القوم الذين ما كانت عاصمتهم الرقيم (Petra) لتتسأل شهرتها في التاريخ لولا أنها وقعت موقعا هاما على خطي سير للتواصل من اليمن ومن العقبة (Aelana) أيضا .

الروم واليونان كانوا يمتدنون طوال هذه المدة أن المنتجات الهندية التي كانت تنقل إليهم عن هذا الطريق كانت من منتجات اليمن المحلية (28) . ويجدر بالملاحظة في هذا المقام أن الأخطار الشديدة التي كانت تحدق بالملاحة في البحر الأحمر فوق عدن من عدم وجود موانئ صالحة وثقلة الماء والقرصنة وما إليها كانت من أهم العوامل التي جعلت من الخط البري الطريق المفضل ترونا عديدة ، إلا أن اليونانيين كانوا دائما يبذلون محاولات جديفة للتغلب على تلك الصعاب من قاعدتهم في مصر مما جعل اليمنيين يرتقبون تصرفاتهم بيقظة وحذر ، فمثلا لما عمد بطليموس الثاني (285 - 246 ق.م) ، الذي كانت سلطته تمتد إلى فينيقية وفلسطين ، إلى إعادة فتح القناة القديمة بين النيل والسويس (Arsinoe) أولا وإنشاء الطريقين الصحراويين من (Koptos) إلى (Berenike) ومن (Koptos) إلى (Myos Hormos) ثانيا أحدث ذلك رد فعل قوي بين اليمنيين . على كل حال أتسى ما توصل إليه اليونان ، بعد هذه الجهود المضنية ، هو ابتياع البضائع الهندية من حين إلى آخر في الموانئ اليمنية ، خاصة (Mouza) ، ثم نقلها إلى (Koptos) كما مر بدون أن يتسنى لهم الاستغناء عن وساطة سبأ ومن المعتقد أن النساء والكلاب والثيران والإبقار والتوابل الهندية المحملة على الجمال ، تلك التي ازدان بها الموكب التاريخي لبتليموس الثاني سنة 271 - 270 ق.م أنها وصلت إلى عاصمة مصر بعد إعادة شحنها في الموانئ اليمنية . نعم وقد برز في هذه الآونة أيضا اسم جزيرة سقططرة (29) كسوق دولي هاجر إليها واستوطنها اليونانيون (30) للمشاركة في تجارة الهند والحبشة .

فخلاصة القول إن تجارة الهند ما زالت تتحول من الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر منذ بدايته عهد الفرس الاخمينيين ، بل وقيل ذلك منذ أيام بخت نصر إلى أن أصبح الطريق الأخير هو الطريق الرئيسي في القرن الثاني ق.م وفي هذه الفترة بالذات أي منذ انتقال الكلدانيين إلى (Gerra) بدأ العرب سكان المناطق الساحلية الجنوبية الشرقية والجنوبية

/*/

لقد انفتح مما سبق أن مصير سبأ ورخاءها وحضارتها كانت مرتبطة ارتباطا تاما باستمرار تجارة الهند على الخط البري المحاذي لساحل البحر الأحمر إلى أسواق الشام ، وعملا نرى تجار سبأ حريصين حرصا بالغا على الاحتفاظ بهذا الخط إلى حد أن

(28) Hitti : Hist. of the Arabs, p. 48

(29) السنسكريتية « Dvipa Sukhatara » أي جزيرة السعادة.

(30) يقول أبو زيد السيرافي ، سلسلة التواريخ ، باريس 1845 ، ص 133 - 134 ، أن الإسكندر هو الذي أهتم باسكان اليونانيين تلك الجزيرة تحقيقا لرغبة ارسطاطاليس في الاستيلاء على منابت الصبر بها .

يمارسون هذه التجارة ويستولون عليها أكثر حتى أصبحوا مخترين لها يعضون على احتكارهم بالنواجد ولم يستطع عملاؤهم اليونان ، مع شدة قلقهم ، أحداث أي تغيير جوهري في الوضع حتى القرن الثاني ق.م.

/*/

ولكن ما كاد القرن الثاني يقترب من النهاية حتى حدث ما كان في الواقع بداية لنهاية أمر العرب وهو أن ملاحا هنديا غرقت سفينته فوصل في قارب النجاة إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر حيث تولى الخفر نقله إلى الاسكندرية ، وبينما هو في تلك المدينة وقد أخذ الحنين إلى الوطن إذ التقى بـ (Eudoxus of Cyzicus) الذي كان له باع في علم الجغرافيا ، ولم يمض وقت طويل حتى تواعد الاثنان وحصلا على موافقة الملك (Evergetes II) ومساعدته للقيام برحلة إلى الهند وقد تم ذلك فعلا ما بين 120 - 110 ق.م (31) فرجع الملاح الهندي إلى أهله بعد أن دل يودوكسس على الطريق إلى الأرض التي كان يسمع عنها اليونان أن بها « أشجارا تثبت الصوف » و « أحجارا تذيب في الفم فتكون أحلى من التين ومن العسل » (القطن والنكر على حد تعبير Herodotus, Megasthenes على الترتيب) .

ولم تكن نتائج هذه الرحلة ، التي كانت الأولى من نوعها ، لتضيق على الملاحين اليونان فقد اتبعها يودوكسس نفسه على الأقل برحلة أخرى وما من شك أن آخرين حذوا حذوه من حين لآخر لانا نفاجا قبل مضي فترة طويلة بسبق الملاح اليوناني ، المتمثل في (Hippalus) ، على العرب إلى الاكتشاف عن طريقة استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في السفر إلى الهند أيام الصيف . من المؤكد أن العرب لم يكونوا يجهلون الرياح الموسمية ، كفى دليلا على ذلك أن الكلمة العربية « موسمية » هي التي انتقلت وتطورت

إلى (monsoon) لكنهم ، لسبب ما ، لم يكونوا قادرين على استخدامها إبان هياج البحر في فصل الصيف بالذات (32). مهما يكن من أمر فإن ما امتاز به اليونان كان كشافا عظيما أدى إلى انقلاب خطير في طريق الملاحة والتجارة ويؤرخ هذا الكشف - كشف (Hippalus) - في سنة 45 م إلا أن بين أيدينا أدلة على تغلغل اليونان وكثرة ترددهم على المناطق التجارية بالهند قبل ذلك، منها إيفاد بعثة من قبل الملك (Pandion) بأقصى جنوب الهند (33) إلى (Augustus) بمصر في سنة 20 ق.م ، كذلك شهادة استرابو (Strabo) الصريحة بأن 120 مركبًا سارت إلى الهند في سنة واحدة (25 ق.م) من ميناء (Myos Hormos) ، ثم لا يخفى أن حملة (Aulus Galus) على اليمن في عهد (Augustus) نفسه سنة 24 ق.م لم تكن إلا حلقة في سلسلة الخطوات لانتزاع تجارة الهند من أيدي العرب (34) . وذلك بالتواطؤ مع النبطيين شركاء سبأ الذين سبقت الإشارة إليهم ، لكن الحملة فشلت فشلا ذريعا وظل مركز العرب قويًا وكان ناقوس الخطر قد دق والخراب يتسرب إلى اليمن رويدا رويدا .

وبمناسبة ذكر الملك (Pandion) لا بأس بأن نستطرد قليلا لنضرب مثلا للفائدة التي تعود على الأدب العربي من الدراسات المقارنة فنقول ان مملكة (Pandya) بأقصى جنوب الهند قد اشتهرت من قديم الزمان بمفاصات اللؤلؤ الواقعة في المياه الضيقة بين ساحل الهند وجزيرة سيلان وجاء عنها في الأساطير الهندوكية أن الإله كرشن (Krishna) جمع اللآلئ من أنحاء العالم وركزها في تلك المنطقة لتترين بها ابنته ملكة (Pandya) . لقد ذكر (Megasthenes) المفاصات والأسطورة المتعلقة بها (35) كما لم يغفل الإشادة بها أحد من الزائرين لتلك المنطقة في جميع العصور من بينهم سليمان التاجر (36) وماركو بولو (37)

(31) انظر : Rawlinson, p. 96-99

(32) سيدد القاريء بحثا قويا عن هذا الموضوع في : George Fadlo Hourani

Arab Sea-faring in the Indian Ocean, Princeton, 1951, p. 25

(33) « Pandion » = Pandya هذا هو التفسير السائد وقد ذهب البعض إلى أن المراد به

(Kadphises I) « Porus » بالمنطقة الشمالية الغربية انظر : Rawlinson, p. 108

(34) انظر : Hitti, p. 46

(35) Cam. Hist. of India

(36) سلسلة التواريخ ص 120 .

معظمها كانت قد تحولت الى اليمن والبحر الأحمر .
ومن الجدير بالملاحظة أن هؤلاء التجار الوسطاء على
ساحل الخليج الفارسي استمروا في أعمالهم ونشاطهم
طوال قرون عديدة بدون أية محاولة للتدخل من قبل
السلوقيين اللهم الا ما كان من (Antiochus III)
الذي أغار على (Gerrha) حوالي سنة 205 ق.م
لكنه سرعان ما رضي بالرجوع تانعا بالفنائم والهدايا
من البضائع التي كان الأهالي يتجرون بها ولا يخفى أن
السلوقيين كانت لهم تجارة واسعة بالهند عن طريق
البر (إيران) وهكذا ظل الحال أيام البارثيين
(Parthians) الذين استولوا على بابل والمدائن ما
بين 140 و 130 ق.م فمهم أيضا تصرفوا اهتمامهم على
تجارة الهند (والصين أيضا) عن طريق البر فقط (42)
وقد كانت تكفي لتدر عليهم أرباحا طائلة . على كل حال
لم يحدث في منطقة الخليج الفارسي مثل ما حدث في
منطقة البحر الأحمر من منافسة اليونان للعرب .

/*/

لم تكد دعائم الامبراطورية الرومانية تتوطد في
سوريا وفي مصر قبيل بدء التقويم المسيحي حتى نعمت
البلاد بالاستقرار وتأمين السبل والقضاء على
القرصنة مما أدى الى شدة الاقبال على سلع
الكماليات المستوردة من الهند والصين في رومسا
والاسكندرية والمدن الأخرى ، ولذلك يعتبر القرن الأول
المسيحي ازهى عصور تجارة الهند بالغرب ، أما
التطورات التي كانت قد حدثت في سير هذه التجارة
بالنسبة الى العرب فتبينها بوضوح فى مذكرات بحار
يوناني مجهول كتبها حوالي سنة 80 م باسم
(The Periplus of the Erythraean Sea)
— تتبين منها ان الملاحين الروم كانوا اذ ذاك يبحرون
راسا من قنا أو من (Ocelis) الى
(Cranganore = Muziris)
بالجزء الاسفل من الساحل الغربي للهند وذلك في
الحقيقة يمثل تقدما كبيرا على ما جرت عليه العرب

الا انه كان بهذه المنطقة ميناء هام ربما سار اسمه مع
اللاي التي كانت تصدر منه وهو (Kolkai) (38)
وبما ان مياه البحر انحسرت وأبتعد الساحل من موقع
هذا الميناء اثناء العصور القديمة نفسها اختفت الإشارة
اليه فيما عدا المصادر اليونانية الراجعة الى الفترة
التي نحن بصدددها ، ثم مضت قرون فاجأنا على اثرها
الشاعر العربي علقمة بقوله :

محال كأجواز الجراد ولؤلؤ
من القلعي والكبيسي الملوب (39)

كذلك قول ابن الرومي أيضا :

يفتر ذاك السواد عن يقق
من ثغرها كاللا القلق (40)

« القلعي » ؟ = الـ (Kolkai) لا غير . لكن
انظر ما جاء عنه فى اللسان « القلعي ضرب من الحلبي ،
قال ابن سيده : ولا أدري الى أي شيء نسب الا أن
يكون منسوباً الى القلق الذي هو الاضطراب كأنه
يضطرب فى سلكه ولا يثبت .. » ! وفى بعض الاحيان
الجات الحيرة النساخ الى التحريف : « القلعي » بدل
« القلعي » — الا ان الأمر لم يزل مغلقا .

لقد سبق أن رأينا ما كان لـ (Gerrha)
من شأن كبير فى التجارة الدولية ، يبين لنا
(Eratosthanes) (276 — 194 ق.م كيف أن أهلها —
ولاشك أن غالبيتهم كانت من العرب — كانوا يقومون
بنقل انواع الطيب والبضائع الأخرى المجلوبة من جنوبي
جزيرة العرب والحبشة الى بابل و (Seleucia)
كانوا ينقلونها بالقوافل البرية وربما أيضا بالسفن
التي كانت تصعد بدجلة الى (Seleucia) نفسها (41)
وقد كان لهم نصيب من تجارة الهند أيضا مع أن

- The Travels of Marco Polo, Broadway Travellers, London, 1931, pp. 292-293 (37)
على نهر Tamraparni باتليم Tinnevely انظر The Periplus of the Erythraean Sea (Schoff), 1912, p. 237 (38)
العقد الثمين ق 4/1 (39)
كتاب التشبيهات لابن أبي عون — تفكاركب — ص 97 (40)
Wilson, p. 45 (41)
Hourani, p. 14 (42)

من السير بمحاذاة الساحل الى «منطقة البوازيج» (43) أي كجرات (Gujerat) وربما انحدروا من هناك الى ساحل المليبار أيضا - إلا أن الروم ، على الرغم من تفوقهم هذا ، كانوا لا يزالون بعيدين من القضاء على نفوذ العرب القديم في الأسواق الهندية ، يذكر أن الروم لم يكونوا يستطيعون الحصول على الترفنة (اللحاء) الا في رأس (Guadrafui) لأنها كانت تحجب عنهم في الأسواق الاصلية بينما كان ورق تلك الشجرة ، شجرة الترفنة نفسها ، معروضا عليهم في المليبار حتى اشتهر بينهم باسم (Malabathrum) (44) وهذا اطرف مثال للاواصر الوطيدة بين المصدرين من التجار الهندوس والوسطاء العرب ضد عملائهم الروم .

لكن لا يظن أن الاتفاق بين الشريكين القديمين كان كفيلا بمقاومة تغلغل الدخيل الجديد الذي اقتحم الميدان مسلحا بالتفوق في طرق الملاحة فان المصدر نفسه أعني (Periplus) يحدثنا أيضا عن الموالاة بين الروم وبين حمير ملوك ظفار الذين كانوا قد حلوا محل سبأ منذ حوالي 115 ق.م ، وذلك شاهد على أن العرب وان لم يكونوا قد تركوا الميدان الا أنهم كانوا قد بدأوا يهادنون خصومهم وهل ذلك الا كنتيجة للضعف والوهن ؟

ومما زاد الطين بلة ظهور منافس جديد للعرب في تجارة الهند . لا يخفى أن الهندوس كانت لهم علاقات تجارئة قديمة جدا بساحل الصومال والحيشة ، لا ادل على ذلك من أن المصادر الهندوسية تحتوي على أقدم الاشارات الى « رجال التمر » و « جبال التمر (45) ، ثم أن العرب ، وان لم يرحبوا بالتجار الهندوس في الموانئ اليمنية ، كانوا قد امسكوا عن مزاحمتهم في منطقة شرق افريقيا (46) حتى أصبحت ملقبة للتجار الهنود والعرب واليونان والروم أيضا وقد ظلت على حالها هذه الى أن بدأ الحبشيون يتطلعون في الفترة التي نحن بصدها الى نصيب أكبر لانفسهم من تجارة الهند وسرعان ما راحوا ينشدون تحالفا مع الروم ضد العرب لهذا الغرض (47) وهكذا أصبحوا عاملا جديدا كان له شأن يذكر فيما بعد .

على كل حال بلغ استهلاك البضائع الشرقية ، ولاسيما انواع الطيب ، ذروته في عهد نيرو (Nero) - 54 - 68 م - فقد ذكر بيلني (Pilny) أن المملكة الرومانية كانت تتكبد ما يقدر بمليون ومائة الف جنيه سنويا ثمنا لمشترياتها من جزيرة العرب والهند والصين وكان نصف هذا المبلغ تقريبا من نصيب الهند وحدها (48) . وقد اضطر الملوك الذين جاءوا من بعد الى مرض بعض التقشف صونا للمركز المالي الا أن حركة الاستيراد ما زالت قوية حتى كان عهد طراجن (Trajan) 98 - 117 م - الذي سعى لتضييق الخناق على العرب وذلك باعادة فتح القناة القديمة بين النيل والبحر الاحمر . (وكانت قد انسدت منذ عهد البطليموس الثاني) وتوصيلها الى بابل مصر ثم بضم اقليم النبطيين ، الذين كانوا قد ساعدوا (Aulus Galus) ضد اليمانيين ، الى مملكته وانشاء طريق رئيسي من العقبة الى دمشق واخيرا بانتزاعه جميع الاراضي الممتدة الى (Charax) و (Apologus) بأعالي الخليج الفارسي من أيدي البارتيين . لاشك أن فكرة السيطرة على هذين الميناءين كانت فكرة سليمة جريئة لانهما كانا على اتصال بحري شرقا بالهند وقد اتفق لطراجن نفسه حينما كان واقفا على رصيف Charax أن رأى سفينة تتأهب للاتلاع الى الهند فأسف على أنه لم يكن في وسعه التقدم الى تلك البلاد لكبره وكانت تمتد أيضا من الميناءين خطوط تجارية غريا الى موانئ الشام وعلى ذلك فقد أراد طراجن أن يتم له الجمع بين منطقتي الخليج الفارسي والبحر الاحمر تحت سيطرته وتلك ميزة لم تتيسر من قبل لغير دارا الاكبر والاسكندر وكان يرجى أن تكون لمثل هذه الخطوة آثار بعيدة لولا أن البارتيين سرعان ما استردوا ما كانوا قد فقدوه فاقترنت النتيجة على أن برز اسم مدينته (Palmyra) تدمر كخلف للرقيم التي خربها طراجن سنة 105 م وقد نال هذا المركز التجاري الجديد قسطا وافرا من الازدهار لأن الفريقين رأيا من مصلحتهما عدم التعرض له حتى بقي أهله يتجرون

(43) هكذا يسميها أبو الفداء : التكوين (باريس) ص 358 .

(44) Periplus ص 4

(45) المصدر نفسه ص 87 نقلا عن Speke : Discovery of the Source of the Nile

(46) المصدر نفسه ص 3

(47) Hitti ص 59

(48) Rawlinson ص 103

اشتد أيضا في الوقت نفسه مركز الأبحاث حتى أصبحوا المنازع الوحيد للفرس في تجارة الهند :

انتقل زمام الحكم من البارتيين الى الساسانيين في سنة 225 م ومن أهم ما امتاز به الساسانيون اهتمامهم بتشجيع الملاحة عند الفرس - الناحية التي لم يلتفت اليها أسلافهم قط ، يتجلى هذا الاهتمام فيما قام به أول ملوك الأسرة الجديدة ، اردشيسر الأول (225 - 241 م) من انشاء الموانئ وما اليها . وفي مطلع القرن الرابع نسمع عن حملة العرب سكان الساحل الغربي على الفرس بالساحل الآخر عبر الخليج الفارسي ثم عن انتقام سابور الثاني من العرب بعد ذلك بزمن قليل مما يدل على تقدم الملاحة واجتياز المنصرين دورا من المزج والصح في بوتقة واحدة . وفي هذه الأثناء زالت روما وخلفتها قسطنطينية سنة 330 م كما ان حمير استكملت سيادتها على الجزء الجنوبي من جزيرة العرب حتى أصبح التبغ « ملك سبأ وحضر موت ويمعات ونهامة » لكن حمير كانت الآن مهددة تماما من قبل الحبشيين الذين كان يجري في عروقهم دم المهاجرين من اليمن نفسها وفعلا بدأ ملوك كسوم (Axum) يتحرشون بسكان الساحل الشرقي للبحر الاحمر منذ اواخر القرن الثالث حتى نجحوا في النصف الاول من القرن الرابع في اخضاع حمير لسيادتهم ، ومع ان سيادتهم لم تدم الا برهة قصيرة استأنفت حمير بعدها استقلالها الا ان الحبشيين بقوا عاملا يعتد به في كل ما يتعلق بالتجارة والسياسة في البحر الاحمر .

لقد مررنا سريعا بالقرن الثالث والرابع والخامس لقلنا المصادر عنها غير ان الوثائق التي سردناها تعطينا فكرة عن التيارات الآخذة في النمو والاشتداد وما ان نصل الى القرن السادس حتى نرى نتائجها واضحة مستكملة وهي تلخص في استيلاء الحبشيين مرة أخرى على حمير سنة 525 م ، ومما يسترعي الانتباه ان ذانواس لم يكن يملك أسطولا ولم يظهر اية مقاومة الا بعد وصول المهاجمين الى البر ، ثم جاءت النهاية الكبرى للخراب الذي كان يتسرب

في كلتا الملكتين المتخاصمتين ويتقلون البضائع بينهما وذلك الى سنة 273 م - الوقت الذي رأى فيه الروم ان الفرصة قد سنحت للاستيلاء على تدمر كما كانت تد استولت على الرقيم من قبل .

يتجلى لنا في جغرافية بطليموس (حوالي 150 - 160 م) مدى التقدم الذي كان قد أحرزه التجار الروم في الاستيلاء على التجارة الشرقية وذلك طبعا على حساب نفوذ العرب ومصالحهم فقد كانوا عرفوا خليج البنغال بما فيه مصب نهر الكنك (Ganges) و « بلاد الذهب » (جنوبي ملايو) كما ان واحدا منهم على الأقل يسمى الاسكندر كان قد زار طونكينج (Tong King) ، كذلك وصل وفد منهم في سنة 166 م الى عاصمة الصين ليشكو من احتكار الايرانيين لتجارة الحرير ويعرض انشاء علاقات مباشرة عن طريق الهند (49) ومن جهة اخرى تفيدنا المصادر الهندية التاميلية (Tamil) عن وجود جاليات للروم في جنوب الهند وانخراطهم في خدمة الامراء الهنود (50) كما ان ظهور التجار الهنود في أسواق الاسكندرية - الأمر الذي يشهد به Dio Chrysostom على عهد طراجن (51) يعد دليلا على نمو العلاقات التجارية المباشرة بين الروم والهند .

وهكذا استمرت هذه الحركة قوية طوال القرنين الثاني والثالث بينما أصبحت العرب غير ذات شأن الى ان حدثت تطورات سياسية جديدة وساعات احوال روما الاقتصادية وانخفضت قيمة عملتها التي كان يتعامل بها كل من العرب والهنود فكانت النتيجة ان ركبت التجارة وتضاعفت الى ادنى حد بدليل انه لم يعثر في الهند على العملة الرومانية الراجعة الى ما بعد 211 م الا القليل النادر (52) .

/*

لقد رأينا أننا كيف ان العرب غلبت على تجارة الهند ولكن القضاء لم يمهل الروم طويلا ليجنوا من ثمرات نصرهم فسئرى كيف ان الفرس حلوا محل العرب والروم جميعا اثناء القرون التالية ، نعم وقد

(49) انظر Hirth: China & the Roman Orien, 1885 ص 173 - 178 .

(50) Rawlinson ص 121

(51) المصدر نفسه ص 140

(52) المصدر نفسه ص 151

لم ينجحوا في ذلك لما كان يتمتع به الفرس من النفوذ وحسن ادارة الامور في اسواق سيلان والهند. ولم يقتصر نفوذ الفرس عند هذا الحد بل تعداه الى انشاء مراكز لهم في سقطورة وفي (Adulis) نفسها واخيرا نراهم يطردون الحبشيين من اليمن ويفتزعونها لانفسهم حوالي 570 م .

هكذا تمت للفرس السيطرة على جميع المياه الواقعة بين سيلان من جهة وساحل شرق افريقيا من جهة اخرى ، وكان من الطبيعي ان يصبح الخليج الفارسي الطريق الرئيسي لتجارة الهند في عهدهم ، كما كان البحر الاحمر ابان نبوغ الروم من قبل . ونجد هذه الاحوال منعكسة على الشعر الجاهلي العربي والروايات التي وصلتنا عن ذلك العهد : فهل ادل على الاتصال الوثيق المستمر بين الهند والخليج الفارسي من ان الابل كانت تعرف بـ « فرج الهند » (55) كذلك يرجح ان « عدولية » في قول طرفة :

عدولية او من سفين ابن يامن (56)

يجور بها الملاح طورا ويهتدي

هي السفينة المنسوبة الى (Adulis)

مما يدل على الاتصال بينهما وبين الخليج الفارسي .

بقي ان نتساءل : ماذا كان نصيب العرب من الملاحة والتجارة في هذا العهد ؟ يبدو انه لم يكن لهم صفة مستقلة ، انما كان اهالي عمان وما حوالها

الى اليمن منذ قرون بشكل انشقاق سد مأرب ما بين 542 — 570 (53) اما الفرس فكانت مكاتهم عالية ممتازة جدا ، كانوا قد اكتسحوا الروم من الموانئ الهندية وكانوا كما يشهد به (Procopius) و (Cosmos) يتسلمون الحرير الوارد عن طريق البحر من « الصين » (Sinæ) الساحلية في سيلان بينما كانوا هم انفسهم مسيطرين على الخطوط البرية الموصلة عبر وسط آسيا الى (Seres) مصدر « السرق » (54) اي الصين الشمالية . مخرصة القول انه لم يكن احد ينفذ من الحصار المضروب من قبل الفرس على الموانئ الهندية الا الحبشيون الذين كثيرا ما ترددوا ببضائعهم ، ولا سيما العاج ، على سيلان والساحل الغربي للهند حتى على موانئ الفرس انفسهم وكانت (Adulis) (حاليا Massawa) ميناء الحبشة الرئيسي (وتعادة الهجوم على اليمن) ، في هذا الوقت مركزا تجاريا هاما لان الروم كانوا قد اضطروا الى قصر نشاطهم على الاتصال بها والحصول على طلباتهم منها ولم يكونوا يستطيعون التجاوز عن باب المنذب الا قليلا ، وهل ادل على تخرج موقف الروم وعجزهم من انهم تو ما سمعوا عن استيلاء الحبشيين على اليمن بعثوا بعيد 531 م بسفارة من قبل الامبراطور (Justinian) الى اكسوم يطلبون من الحبشيين ان يحاولوا شراء الحرير راسا من الهنود وبيعه لهم (الروم) لكي تتوفر الاموال التي كان الروم مضطرين الى دفعها لاعادتهم الفرس، وفعلا حاول الحبشيون العمل بهذا الاقتراح الا انهم

(53) المهم ان انشقاق سد مأرب كان نتيجة لا سببا لخراب اليمن وتشتت سببا . انظر Hitti ص 65
(54) ظل العالم الغربي يجهل حقيقة طويلة ان (Sinæ) التي كان الوصول اليها عن طريق البحر و (Seres) التي كان الوصول اليها عن طريق البر انما كانتا تمثلان جزئين لبلد واحد ، كما ان سكانها كانوا من شعب واحد ، وتمثل كلمة « السرق » بالعربية (* بالانجليزية « Silk ») الحرير الوارد عن طريق البر اي ايران (بالفارسية « سره » والاصل بالمنقولة (sirkek) والصينية « ssi ») انظر (Periplus) ص 266 .

(55) تاريخ الطبري (ليدن 12 / 2021 ، انظر ايضا 2023 حيث جاء : « كان فرج الهند اعظم فروج فارس شأننا واشدها شوكة وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر »
(56) ورد ذكر ابن يامن في بيت لامرئ القيس ايضا:

او المكرعات من نخيل ابن يامن
المشقر : قصر بالبحرين (البلدان لياقوت) . يرجح الدكتور سليمان الندوي انه كان تاجرا عربيا يهوديا هناك (عربون كي جهاز رائي ص 26) .

(57) انظر (Hourani) ص 42 . اما اللغويون فنجد اقوالهم متناقضة مما ينم على نوع من التخبط : عن الاصمعي عدولي قرية بالبحرين ، وقيل موضع يسمى عدلولة ، وعن ابن الكلبي : عدولي ليسو من ربيعة ولا مضر ولا ممن يعرف من اليمن انما هم امة على حدة (كذا في اللسان « عدل ») .

قد اختلفوا اختلافا كبيرا بجيرانهم الفرس ، وكان من الطبيعي أن يشاركوهم أعمالهم مما اكسبهم دراية وخبرة . او لا نرى الى ازد عمان وهم يحتقرون لكونهم « مزونيين » وملاحين كما أن كبراءهم ربما نسبوا في معرض الهجو الى أصل فارسي (58) . أما الصور الرائعة لمناظر البحر واهواله وسير السفن فيه التي يزخر بها ديوان العرب ، فلا يصح أن تتخذ دليلا على مزاوله العرب للملاحة أو اهتمامهم بها ولا سيما اذا كان هناك ما يؤكد استهجانهم لها ، إنما كانت تلك الصور كليشاهات نقلت الى داخل الجزيرة من المناطق الساحلية (59) .

/*/

على ضوء ما سردناه آنفا من الاوضاع السائدة في القرن السادس نستطيع أن نفهم جيدا بعض الحوادث التي وقعت في أوائل العهد الاسلامي، فمثلا حملة أهل عمان البحرية على فارس وحتى سواحل الهند وكجرات بدون سابق اذن من الخليفة الثاني عمر إنما تدل على المعرفة القديمة والتحمس الجديد لإثبات استقلالهم عن الفرس الذين كانوا متفوقين عليهم من قبل ، كذلك نرى كيف أن عمر الذي كان حذرا خائفا من « حمل الدود على العود » اضطر الى السماح بمهاجمة (Adulis) لاشعار الحبشيين بانتهاء سيطرتهم السابقة على المياه المجاورة ثم توسعت الفتوح الاسلامية حتى شملت مصر من جهة والهند من جهة أخرى فكانت النتيجة أن أصبح طريقا الخليج الفارسي والبحر الأحمر تحت سلطة واحدة وتلك غاية طالما تأقت الحكومات المختلفة الى تحقيقها فلم توفق الى ازالة الحدود بين العراق وسوريا كما قد رأينا من قبل وتبع هذا التطور الجديد أن ارتفع التنافس والتسابق بين المنطقتين ورجع نشاط كل منهما الى ما كانت تقتضيه طبيعة العمران والاستهلاك المحلي ، وبما أن خط الخليج الفارسي كان أكثر استقامة واقرب مسافة وأوثق اتصالا وأن التجار لم يلجأوا الى البحر الأحمر الا للضرورة ، لذلك استمر هو الأول الطريق المفضل لتجارة الهند كما كان منذ

عهد الساسانيين ومما زاد في نشاط هذه الناحية زيادة ملهوسة انتقال عاصمة الخلافة ومركز الحضارة الى بغداد ولعل قول مستشار المنصور الذي يسط فيه مزايا الموقع الجغرافي لتلك المدينة يقوم أوضح دليل على أهمية العلاقات التجارية التي نحن بمصددها، قال دهقان بغداد للمنصور : « ... تحمل اليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة ... » (60) .

يصدق هذا القول ما أورده الرحالون والجغرافيون أمثال سليمان التاجر (237 هـ) وابن خرداذبه (232 هـ) والمسعودي (332 هـ) والمقدسي (375 هـ) بشأن ازدهار التجارة والعمران في الأبله وسيراف والبصرة ، لقد كانت المراكب تطلع من هذه الموانئ الى مسقط ومن هناك رأسا الى كولم الى (Quilon)

بجنوب الهند حيث كانت تفرق الطرق فاما الى ساحل الدكن (جنوب الهند) الشرقي واما الى سرنديب (جزيرة سيلان) وكله (Kedah بملايو) على الطريق الى الصين ، هذا فضلا عن حركة التجارة المتصلة بالموانئ القائمة على الساحل الغربي للهند فوق كولم ومن أشهرها الديبل على مصب نهر السند وكتبايت وبروص (Broach الحالية) بكجرات وتانه وصيمور (Chimur) وسوباره

(Churparaka = Sopara)

بإقليم بومباي ولنقدر مدى توثق العلاقات بين المصدرين الهنود وزبائنهم بقول سليمان عن ملوك الكمك (Konkon) أنهم « يعمرون ربما ملك أحدهم خمسين سنة وترغم أهل ملكة بلهرا (Rashtrakutas = «Vallabhrai») إنما يطول مدة ملكهم وأعمارهم في الملك لمحبتهم للعرب وليس في الملوك أشد حبا للعرب منه وكذلك أهل مملكته (61) لم لا والرخاء الاقتصادي في البلاد كان يتوقف على تصريف المنتجات في أسواق العرب ؟

ومما يلاحظ في هذا الصدد أن انتشار الإسلام الى الجانب الشرقي للخليج الفارسي ساعد كثيرا على تكوين شعب واحد من الفرس والعرب سكان السواحل في تلك المنطقة وقد كانوا اختلفوا

(58) المهلب بن أبي صفرة مثلا .

(59) انظر دائرة المعارف الاسلامية « السفينة » .

(60) البلدان لياقوت (ط أوربا) 681/1 .

(61) سلسلة التواريخ ص 27 .

يركبون في البحر الغربي فربما عدلوا بتجاراتهم التي القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها إلى ملك فرنجة فيبيعونها هناك ، وان شاعوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بانطاكية ويسيروا على الأرض تلك مراحل إلى الجابية ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ، ثم يركبون في دجلة إلى الأبله ومن الأبله إلى عمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض (63) .

ثم يحدثنا ابن خرداذبه عن التجار الروس الذين كانوا يقومون بالعمل نفسه :

« هم جنس من الصقالبة فانهم يحملون جلود الخنزير وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلية إلى البحر الرومي فيعشرهم صاحب الروم وان صاروا في تنيس نهر الصقالبة مروا بخليج مدينة الخنزير فيعشرهم صاحبها ثم يصيرون إلى بحر جرجان ... وربما حملوا تجارتهم من جرجان على الأبل إلى بغداد ويترجم عنهم الخدم الصقالبة ويدعون أنهم نصاري فيؤدون الجزية ، فأما مسلحهم في البر فان الخارج منهم يخرج من الأندلس أو من فرنجة فيعبر إلى السوس الأقصى فيصير إلى طنجة ثم إلى افريقية ثم إلى مصر ثم إلى الرملة ثم إلى دمشق ثم إلى الكوفة ثم إلى بغداد ثم إلى البصرة ثم إلى الأهواز ثم إلى فارس ثم إلى كرمان ثم إلى السند ثم إلى الهند ثم إلى الصين (64) .

أما البضائع والمنتجات التي عرفت الهند بها بين العرب فقد أشار إليها بالأجمال أيوب بن القرية (من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث) حينما سأله الحجاج عن الهند فأجاب بقوله : « بحرها در وجبلها ياتوت وشجرها عطر » (65) . وقد عرض لها بالتفصيل أبو زيد السيرافي حيث قال :

« بحر الهند والصين الذي في بطنه اللؤلؤ والعنبر ، وفي جباله الجواهر ومعادن الذهب ، وفي أفواه دوابه العاج ، وفي منابته الإبنوس والبقم والخيزران وشجر العود والكافور والجوزبوا والقرنفل والصندل وسائر الأنواع الطيبة الذكية وطبوره الغفافي (يعني البيفارات والطاويس) وخرشبات

وأمتزجوا إلى حد كبير في العصر السابق ، ولذلك تراهم في العصر الإسلامي يشتركون في أعمال الملاحة والتجارة اشتراكهم في استعمال اللغة العربية كتابة وخطابة مما يجعل من الصير التمييز بين العنصرين ، إلا أن نظرة واحدة على أسماء النواخذة الوارد ذكرهم في كتاب عجائب الهند ليزرك بن شهريار (62) تكفي للتدليل على وجود العنصر الفارسي بل وعلى غلبته أيضا .

أما مقدار التجارة عن طريق البحر الأحمر فكان وفقا لحاجة مصر لا غير والسبب نفسه يرجح أنه زاد كلما ارتفع شأن مصر على اثر انحلال الدولة العباسية لاشك أن عمر كان قد جدد فتح القناة القديمة بين النيل والقلمز إلا أنه لم يكن يستهدف من ورائه غير نقل الميرة إلى الجار ميناء المدينة .

وأخيرا يجب التنبيه على أن ظهور الإسلام وان أدى إلى قيام دولة واحدة تشرف على طريقي الخليج الفارسي والبحر الأحمر إلا أنه في الوقت نفسه سبب القطيعة بين الدولة الجديدة وبيزنطة ، تلك القطيعة التي استمرت طوال القرون المتعاقبة بحيث لم تكن تسمح لتجار إحدى الدولتين بالأطمئنان إلى انشاء صلات مستديمة مع الدولة الأخرى فكانت النتيجة ان انحصرت مهمة نقل البضائع بين دار الإسلام وبلاد المسيحية في أيدي اليهود الذين يتحدث عنهم ابن خرداذبه بقوله :

« يتكلمون بالعربية والفارسية والرومانية والافرنجية والاندلسية والصقلية وانهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا ، يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخنزير والفراء والسمور والسيوف ، ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما (Pelusium) ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلمز ... ثم يركبون البحر الشرقي من القلمز إلى الجار وجدة ، ثم يمضون إلى السند والهند والصين فيحملون المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى القلمز ثم يحملونه إلى الفرما ، ثم

(62) Leide, 1883-86

(63) المسالك والممالك 153 — 154 .

(64) المسالك والممالك 153 — 155 .

(65) الاخبار الطوال للدينوري ص 326 .

أرضه الزباد وخباء المسك وما يحصيه أحد لكثرة
خيره « (66) .

هذا وقد جمع أحد من الشعراء الموالي اسمه
أبو الضنع (كذا في معجم المرزبانسي 513 وفي
المفهرست 174 « أبو الصلح ») السندي كل ما
امتازت الهند به من وفرة الإنتاج واشتهرت به من
جودة الصناعات في آبيات رائعة في معرض المدح
والافتخار ، قال :

لقد انكر أصحابي : وما ذلك بالأمثل
إذا ما مدح الهند وسهم الهند في المقتل
لعمري أنها أرض إذا القطر بها ينزل
يصير الدر والياقوت والدر لمن يعطل

فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
وأصناف من الطيب ليستعمل من يتفل
وانواع الأغاويه وجوز الطيب والسنبل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وان أتوتيا فيها كمثل الجبل الأطول
ومنها الببر والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها الكرك والبيغاء والطاووس والجوزل
ومنها شجر الرانج والساسم والفلفل
سيوف ما لها مثل قد استغنت عن الصيقل
وأرماع إذا ما هزت اهتز بها الجففل
فهل ينكر هذا الفضل إلا الرجل الأخطل ؟

الآثار للقرظيني ص 85 وانظر الحيوان 50/7 .

الألفاظ الهندية المعربة

بعد . وعلى هذا فالتأكد من كون الهند الموطن الاول
لبضاعة من البضائع إذا اقترن بثبوت استيراد العرب
لتلك البضاعة منها (الهند) ينهض دليلاً قوياً . بل
قاطعاً . في كثير من الاحوال ، على ان الاسم هندي
الاصل كالبضاعة ذاتها . فمن الامثلة المتفق عليها من
هذا القبيل الموز والكافور والقرنفل والصندل والساج
والمسك والليمون والনারجيل وأسماء عدد من العقاقير
كالطريفل وجميع اصناف التوابل تقريبا كالفلفل ،
وسنرى أننا لو سرننا على هذه القاعدة لكان في
وسعنا ان نلقي بعض الضوء على اصول عدد من
الكلمات التي لا يزال يكتنفها شيء من انغموض .

ولا يخفى ان لبحثنا هذا جانباً آخر على درجة
كبيرة من الأهمية وهو ان معظم تلك الكلمات التي
يقال عنها انها عربية دخيلة في اللغات الأوربية ،
ولاسيما الاسبانية والفرنسية والانجليزية ، هي في
الاصل معربة عن الهندية واللغات المحلية لمناطق أخرى
شرقي الهند ، وذلك لان تلك الكلمات انما شقت
طريقها الى أوربا عن طريق التجارة على أيدي
العرب ، ولكن العرب لم يكونوا منتجين في أي
من حقلتي الزراعة والصناعة لا لشيء الا لان الطبيعة
حرمتهم من الثروة النباتية والمعدنية . اذن فكان

ان العلاقات التجارية بين الهند والعرب راسخة
في القدم تتمثل في الاسماء الهندية المعربة اكثر منها
في اشارات او روايات في بطون المجاميع الأدبية
والتاريخية او المؤلفات الجغرافية ، وقد استحضرت
في ذهني عددا من المفردات المتعلقة بالتجارة وما
اليها اتوسمها لعلها قد بقي فيها بعد طول اغترابها
ما يمكننا من ردها الى اصلها الهندي العتيق ،
وأقدم فيما يلي بعض النتائج التي وصلت اليها بشأن
اصل طائفة من الالفاظ المعربة ، والتي ربما اعتبر
بعضها عربياً محضاً .

ويهمني ان انوه في هذا المقام بظاهرة ربما
يكفل ابرازها القضاء سلفاً على أي استفراب يلحق
القاريء فيما بعد ، وهي ان العرب الأول الذين
نراهم عبر التاريخ يغامرون بحياتهم في لبحج البحر
الهندي انما دابوا على ذلك ليحلبوا من الهند وما وراء
الهند لا البضائع فحسب بل اسماءها المحلية ايضاً
كما سمعوها من أفواه الذين اختلطوا بهم وعاملوهم ،
وسيدرو ذلك طبيعياً اذا نحن قدرنا ان معظم تلك
البضائع هي التي لم يعرفها العرب في اوطانهم وغير
اوطانهم من قبل ، بل انما عرفوها لأول مرة في
الهند ثم عرفها العالم الغربي عن طريق العرب فيما

المصريين وبدأوا ينطقونها «المناخ»... (2) الحقيقة ان اصلها «رهمانج» عند ابن ماجد (69) وهو تحريف البحارين لكلمة «الراهنامج» التي جاء عنها في التاج 51/2 : «فارسية استعملها العرب واصلاها «راه تامه» ومعناه «كتاب الطريق»... وهو الكتاب الذي يسلك به الرابطة... في سفر البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها كالشعب ونحو ذلك» .

صناعة السيوف وما إليها

(1) الآنسك : لقد اصاب ادى شير القول بانها قريبة من «Ranga» بالسنسكريتية (الفارسية : آهك) ، والرصاص الابيض معروف الى الآن في الهند بذلك الاسم ، وهو جزء من كلمة «الاسرنج» - اصلها ان يكون «h'sang» (70) الا «سرخ» + «آنك» كما اورده ادى شير)

اما معدن الرصاص فيقول عنه مسعر بن مهلهل (القرن الرابع الهجري) : « انها (كله) اول بلاد الهند مما يلي الصين ، وانها منتهى مسير المراكب : ولا يتهيأ لها ان تجاوزها والا غرقت ،

الاقدار حتمت عليهم ان يقوموا بدور الوسيط في جلب البضائع الهندية والصينية وتوصيلها الى اوربا الى ان قدر لاوربا الاتصال مباشرة بالشرق الاقصى في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وهو لعمرى دور لعبه العرب لا بجرأة وكفاءة فحسب بل بامانة تركت اطيب الاثر واعمقه في نفوس السكان غير المسلمين لمختلف مناطق الهند الساحلية . فهذه الظروف تقرر علينا . كلما وجدنا في اللغات الاوربية كلمة تتعلق بالملاحة (67) او التجارة على ايدي العرب في المحيط الهندي ، ان نواصل البحث عن اصلها الهندي بعد ان نهدي الى شكلها المعرب في العربية ، ولعل في مقارنة الطرفين الاوربي والهندي ما يكشف لنا بعض ما غمض على المتأخرين من العرب أنفسهم في بعض الاحيان .

فمثلا كلمة (Almanac) لم يشك احد في انها انتقلت الى اوربا عن العرب لكن حار الباحثون في الاهتداء الى اصلها فقالوا انه « المناخ » (محيط المحيط - ن و خ) او ان العرب الاندلسيين استعاروا كلمة **БА ВІХІЛЗІУХЪ** (68) من

(67) لقد صرح السعودي : فيما يتعلق بالملاحة ، ان العرب حرصوا على الأخذ بالالفاظ المحلية في مختلف المناطق التي تردوا عليها ، انظر الى قوله : « انما نعبّر بلفظة اهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم » المروج 332/1 (ايضا 343 : « انما نخبر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم » .

ويلاحظ ايضا في هذا الصدد ان العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية من اللغة السنسكريتية الفصيحة ، ولاهم اعتنوا بأشكالها الصحيحة في الكتابة ، بل انما أخذوها من افواه التجار وسكان المناطق الساحلية التي كانوا يترددون عليها ، ولا يخفى ان تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات متعددة بل لغات مستقلة .

Hob.-Job. - « Almanack » (68)

Ferrand : Instructions Natives, Tome I ص 60 « رهمانج » - 88 « رهمانجات » - 76 (69)

« رهمانجا » .

واللبس مثل الذي نشاهده في اول هذه الكلمة كثير شائع فيما يتعلق بالكلمات الاعجمية التي في اولها حروف تقارب الالف واللام . فكلمة « انجر » (Anchor) مثلا اصلها بالفارسية « لنكر » (القاموس - نجر) ، اضاف العرب عليها الالف واللام (ال لنكر) ، ثم التبس عليهم الامر فظنوا ان اللام ليست من الحروف الاصلية (النكر) وقالوا « انجر » - وكذلك الرصاص من « اريز » (انظر ادى شير) ، والماس من « Adamas » (Periplus) ص 224 وانظر بزرك ص 128 « الادماس ») بتعامه كلمة غير عربية والالف واللام من بنية الكلمة ، كذا في شفاء الفليل واللسان (ماس) عن ابن الاثير - وسيأتي الآنسك من « Ranga »

يلاحظ ايضا انهم كثيرا ما يحذفون الكاف والميم من الاول في التعريب ، انظر مثلا الرند = كرندة و « انباتي » نسبة الى كنيات و « انبجاني » نسبة الى « منبج » واترج / ترنج تعريب « ما تلنفا » - وكذلك الواو يسقط من الاول مثل « النج » من « valgu » وارز من « virizi »

Watt (70) ص 707 .

وقد ذهب الباحثون الى ان « كله » توازي « Kedah »
أو « Kra » الحالية (75) .
وبلاحظ ان اهم ما اشتهرت به سيوف الهند
جودة الصقل ، وهو عمل لا يتأتى الا بالآلآت الذي
استأثرت القلعة بانتاجه ، أما الحديد اللازم لصناعتها
فقد اورد الادريسي بشأنه ما يلي :

« ان بلاد سفالة (سفالة الزنج أي شرق
افريقيا) يوجد في جبالها معادن الحديد الجيد
الكثيرة ، وأهل الرانج (الزانج ؟) وغيرهم من
ساكني الجزائر المطيفة لهم يدخلون اليهم ويخرجونه
من عندهم الى سائر بلاد السند وجزائره فيبيعونه
بالثمن الجيد ، لان بلاد السند اكثر تصرفهم
وتجاراتهم بالحديد ، ومع ذلك وان كان الحديد
موجودا في بلاد الهند ومعادنه بها ففي بلاد سفالة
هو أكثر وأطيب وأرطب ، لكن الهنديين يحسنون
صنعتهم وتركيب أخلاط الادوية التي يسبكون بها
الحديد اللين فيعود هنديا منسوبيا الى الهند ، وبها
ديار الضرب للسيوف وصناعتهم يجيدونها فضلا
عن غيرهم من الامم ، وكذلك الحديد السبتي (كذا
وفي نسخة أخرى: السندي) والسرنديبي والبينماني
كلها تتفاضل بحسب هواء المكان وجودة الصنعة
واحكام السبك والضرب وحسن الصقل والجلء ،
ولا يوجد شيء من الحديد أمضى من الحديد الهندي،
وهذا شيء مشهور لا يقدر احد على انكار
فضيلته » (76)

هذا وقد كانت البيلمان (البيلمان) مركزا
آخر هاما لصناعة السيوف تنسب اليه السيوف
البيلمانية ، وكانت تقع على ملتقى حدود السند
والهند كما يتضح مما ورد في شأنها في فتوح البادان
للبلادري ص 440 و 442 ، أما القول بأنه « يشبه ان
يكون (البيلمان) من أرض اليمن » (انظر البلدان
لياقوت واقاموس « ب ل م ») فلا يقوم على
سند .

وبها قلعة يضرب بها السيوف القلمية . وهي الهندية
العتيقة لا تكون في سائر الدنيا الا في هذه القلعة . .
وليس في جميع الدنيا معدن الرصاص القلمي الا في
هذه القلعة » (71) .

فالنسبة في « السيوف القلمية » و « الرصاص
القلمي » (الفرنسية : Alkalap الى هذه الصنعة
بكله (72) وقد شهد الادريسي ايضا بأنها المعدن
الوحيد للرصاص الابيض بالنسبة الى العالم أجمع
في زمانه ، فانه يقول :
« وبهذه الجزيرة (كله) معدن الرصاص
القلمي . وهو بها كثير صافي الجوهر ، والتجار
يفشونه بعد خروجه عنها ، ومنها يتجر (يجهز) به
الى جميع الارض » (73) .

ثم يظهر ان مثل هذا المعدن نجم في الاندلس
ايضا فيما بعد ، فبدأ التجار يتجولون عن الهند
اليها ، حتى اذا مضى زمن خلط الناس بين المعدنين
كما في قول ياقوت :

« القلعة فيما زعم مسعر بن المهلهل بلد في اول
بلاد الهند من جهة الصين ، واليه ينسب الرصاص
القلمي والسيوف القلمية ، واقليم القلعة من كورة
قلبرة بالاندلس ، وأنا اظن الرصاص القلمي منسوبيا
اليها او الى قلعة بالاندلس فانه من هناك يجلب » (74)
ان شهادة مسعر بن المهلهل والادريسي ليست
موضع الشك ، وكل ما افادنا ياقوت هو ان الرصاص
الابيض كان في ايامه يجلب من الاندلس بعد ان كان
يجلب من القلعة بكله من ذي قبل . ولعل في الاخذ
باسم « القصدير » - الذي يرادف الآنك الا انه معرب
عن اليونانية - ايضا دلالة على التحول المشار اليه
من الشرق الى الغرب .

ثم انه يرجح عندي ان المراد ليس « القلعة »
بكله بل كلمة « قلعة » هي تعريب « كله » لا
غير ، والمعدن المسمى « كله » باللغة المحلية انما
كان واقعا على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملايو ،

(71) القزويني 69 وياقوت « القلعة » و « الصين » .

(72) المغرب للجواليقي ، تحقيق احمد محمد شاكر - ص 276 .

(73) دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 ص 130 .

(74) المشترك والمفترق 357 .

(75) انظر دائرة المعارف الاسلامية « Kalah » و « Kal'i » .

(76) ص 108 - 109 . قارن ابن الوردي ، القاهرة 1328 هـ ، ص 51 .

الرمح

تلك هي قصة السيوف التي لم تزل تحمل نسبتها الى انهد كسماز لجودة الصنعة وحسن الصقل ، ولنتقل الآن الى الحديث عن الرماح التي حوت نسبتها الى الهند على مر الزمان ، الا انه يمكننا اذا معنا النظر ان نستشفها من وراء كلمات لا تزال تحمل سمات الغرابة والغربة مع انها كثيرا ما عدت عربية لا لشيء الا لعدم الاهتداء الى اصلها .

يتكون الرمح من جزئين : الاول هو النصل أو السنان ، والثاني هو القنّاء . وغنى عن البيان أن صناعة السنان متجانسة مع صناعة السيوف بل هما صناعة واحدة ، وعلى هذا يصبح من الطبيعي أن يغيب الظن بأن العرب ربما استعملوا الأسلحة المصنوعة في الهند الا انه لا يعدلنا من الدليل الإيجابي ما يرتفع بهذا الظن الى درجة اليقين ، فاننا نراهم يستعملون بعض الكلمات الهندية للتعبيرات الدقيقة المتعلقة بهذه الصناعة . انظر الى كلمة « الخرص » تبدو كأنها دخيلة على مادة « خ ر ص » العربية . فالخرص تعني الجزء الاعلى الذي فيه الحد من السنان ، وهي بهذا المعنى توازي كلمة « Kirch » بملالم (Malayalam) إحدى اللغات الدكنية - ولأردوية أيضا ، ولعل أصلها في لغة جاوة وملايو « Kris, Kiris, Kres » (77) - وربما اطلقت الكلمة على القضيبي والرمح نفسه كما قال حميد وابن ثور : « عض الثقاف أنخرص الخطيا » (78) ولا يخفى أن هذه النسبة الى الخط هي أقوى ما يؤيد الأصل الهندي للرمح المنسوبة اليها لان الخط لم تكن الا مرفاً لسفن الواردة من الهند كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد .

أما الجزء الثاني ، وهو بلا شك أهم الجزئين فقد كان العرب شديدي الاهتمام بالقنا والانتقاء لها حتى أن الشعر العربي يزخر بأوصافها ونوعاتها الا أن كثرة استعمال العرب للاسماء المختلفة للقنّاء وما يتبعها وجريها على سنتهم مجرى الكلمات العربية في الاشتقاق وما الى ذلك جعل أصل تلك الأسماء نسياً منسياً . هذا مع أنه قد ثبت بصورة

Hob.-Job. - « Crease, Cris » (77)

(78) اللسان 8 / 287 .

Hob.-Job. - « Candy » (79)

فاطعة لا يتطرق اليها أي شك أن منبت القنا الذي كان العرب يعتمدون عليها لسد حاجتهم - وما أكثر تلك الحاجة - لم يكن غير الهند كما سنبين ذلك آنفاً بعد أن نسوق بعض المقدمات ونتعرض لبعض الملابس التي لا بد منها نظراً الى غموض الموضوع .

أولاً : القنا = قصب السكر . لا يخفى أن إطلاق القنا على هذا المعنى إنما هو على سبيل التبعية والمجاز . وأن كان ذلك مطابقاً للمألوف في اللغة السنسكريتية وبعض اللغات الهندية الأخرى . وعلى كل حال فالمرجح عند العلماء هو أن موطن قصب السكر الأصلي لا يتجاوز ما بين بنغالة والهند الصينية (79) والدليل على ذلك أن جميع منتجات قصب السكر اشتهرت في العالم بأسمائها الهندية وهاكها فيما يلي :

1 - Candy = الفارسية والعربية « قند » = سنس « Khanda » وملكالم « Kandi » (79) .

2 - العربية « فانيد » = الفارسية « بانيد » = سنس « Phanita » - فارن « Penidium » Med. Lat. وقد ذكر ابن حوقل والبشاري الفانيد من أهم الصادرات من مدن السند: فنجبور ومولتان وطوران .

3 - Sugar = العربية « سكر » = الفارسية « شكر » = البراكرتية « Sakkara » / سنس « Sarkara » .

ومن الطريف في هذا الضدد أن الهنود ، وأن كانوا أول من قام بإنتاج السكر ، سرعان ما بدأوا يستوردونه من الصين ومن مصر ، وذلك لأن الصينيين والعرب ، الذين نقلوا زراعة قصب السكر من الهند الى الصين والى مصر (ثم الى صقلية والاندلس) ، لم يلبثوا أن سبقوا الهنود في ابتكار وسائل جديدة للتكرير ، ففاق الصينيون في صنع سكر ناصع البياض بشكل قطع صغيرة ، كما أن المصريين اختلفوا بصنعه بشكل قطع كبيرة ، ولم تزل الهند تستورد ذبك الصنفين من السكر من

جدا في العصور الوسطى ، ومن المتفق عليه أن كلمة انطباشير انما هي منقولة عن سنس « Trakkshira » اي انها هندية الاصل (81) .
ثم ان الخيزران يصفه العرب انفسهم بأنه شجر هندي وهو عروق القنّاة (انظر الصحاح والتاج « خزر ») أفلا يكون القنّاء اذن شجرا هنديا ؟ والخيزران الهندي (82) هو الذي يتمثل به في

الصين ومن مصر الى مطلع القرن الماضي حتى انهما يعرفان الى الآن في اسواق الهند باسم « صيني » و « مصري » على الترتيب (80) .
ثانيا : القنّاء بمعنى الرمح . يلاحظ في هذا الصدد ان هناك شيئا يشبه السكر كثيرا ما يتكون داخل القنّاء (Bamboo Sugar) يسمى عند العرب والفرس « الطباشير » وكان استعماله كدواء شائعا

(80) « Sugar » - Hobson-Jobson

ومما يشهد ببراعة المصريين في هذا المضمار القطعة التالية منقولة عن ماركو بولو (Ramusio II, 44) :

« And before this city » (a place near Fu-chau) « came under the great Can these people knew not how to make fine sugar ; they only used to boil and skim the juice, which when cold, left a black paste. But after they came under the Great Can some men of Babylonia » (i.e., of Cairo) « who happened to be at the court proceeded to this city and taught the people to refine the sugar with the ashes of certain trees » - 1298 A.D.

ومجلة « اللسان العربي » تلاحظ ما يلي :

كان السكر يصنع في شقي العروبة بافريقياسا : المغرب ومصر وقد حدثنا المقرئزي انه كان بسمهود سبعة عشر حجرا لعصر القصب كما كان يعلوى عدة احجار (انخطط ج 1 ص 203) وكذلك في قابس وجولوا (البكري في المسالك جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32) .

وقد أكد ماس لاطري Latrie ان المغرب كان يصدر السكر في القرن الثالث عشر الميلادي الى الفلاندر والبندقية (علائق وتجارة افريقيا الشمالية ص 376) وقد نبه الحسن بن محمد الوزان المعروف - Léon l'Africain على وجود السكر بسوس قبيل السعديين ولكن الشرفاء السعديين هم الذين جلبوا اساليب تصفية هذا السكر وتبييضه في معاصر ساهم الاسرى المسيحيون في تأسيسها باكادير وخاصة ، سكساوة وشيشاوة (مستندات دوكاستر ج 1 ص 303) .

ويوجد نص رسالة موجهة من مولاي محمد بن عبد الغالب - المسلوخ - عن اذن والده الى ملك فرنسا مؤرخة من قصر الدار البيضاء (فاس الجديد) في رجب 968 (مارس 1561 م) حول استعداد المغرب للسماح للملك شارل التاسع باحتكار سكر المغرب بشرط دفع ثمنه بالسعر المغربي مع زيادة نسبة في المائة وكذلك اصدار النحاس المغربي لفرنسا طبقا لرغبة ملكها بشرط دفع ثمنه سلاحا وعتادا (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 746) .

ولما عجز الاوربيون المعلوبون لعصر قصب السكر في معمل اكدال بمراكش وتصفيته واخراجه من القوة الى الفعل عن اتمام عملياتهم جلب محمد بن عبد الرحمن الصناع المهرة من مصر القاهرة (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 556) .

واسس مولاي الحسن عام 1878 مصنعا للسكر بمراكش وكلفه ذاك نفقات باهظة. ولكن هذا المصنع احيل بعد سنوات الى مدبغة للجلود (كامبو ص 59) .

وقد كان البلاطان الفرنسي والانجليزي يتنافسان في القرون الاخيرة على اقتناء السكر المغربي المكرر لصفائه وجودته .

(المعجم التاريخي للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ص 38) .

(81) « Tabasheer » - Hob.-Job.

(82) لقد عرف العرب أن بلاد الروم كانت تمتاز بمنابت الخيزران كما يقول النابغة الجعدي : « بلادهم بلاد الخيزران » (انظر اللسان - خزر) الا أنه من المحقق أنهم كانوا يجلبونه من الهند ويتمثلون بالهندي منه في شدة اللون . كذا في محيط المحيط - خزر . وقد أورد القزويني في الآثار ص 38 عن كله : « بها منابت الخيزران منها يحمل الى سائر البلاد » .

(x) وقد كان أهل Magan أي عمان يستوردون الاخشاب من نفس هذه المنطقة وذلك اربعة آلاف سنة قبل المسيح - انظر : Wilson : The Persian Gulf, p. 27

شدة اللين ومنه قولهم : الخيزرى والخوزرى
والخيزلى = مشية فيها تفكك .

وربما اقترن اسم القنا بالقسط ما عدا الخيزران
عند الربانة والجغرافيين العرب كما سنرى ،
ومن المسلم به ان القسط او الكسط هندي بحث
(سنس « Kustha ») وانما نسبوه فى بعض
الإحيان الى ظفار باليمن لانه كان يجلب اليه من
الهند ، القاموس « ظفر » .

ولنبحث الآن عن المواضع التى كان العرب
يترددون عليها لجلب القنا منها . نجد انها لا تتجاوز
ساحل السند والساحل الغربى والجنوبى لمنطقة
الدكن بالهند (**) : فهذا قول ابن خرداذبه 62 :
« ومن السند يجيء القسط والقنا والخيزران »
ويقول ايضا : « ومن مهران الى اوتكين وهى اول
أرض الهند مسيرة اربعة ايام ، وفى هذه الارض
ينبت القنا فى جبالها والزرع فى اوديتها واهلها
عتاة مرده لصوص » - كذلك يقول ابن الفقيه 251 :
« خص الله بلاد السند والهند ب... القنى
والخيزران ... » - وهذه شهادة مسعر بن مهامل
يقول : « وخرجت الى سواحل البحر الهندي
متياسرا فسرت الى بلد يعرف بمدورقين منابت
غياض القنا وشجر الصندل ومنه يحمل الطباشير
وذلك ان القنا اذا جف وهبت عليه الريح احتك
بعضه ببعض واشتدت فى الحرارة الحركة فانقذحت
منه نار فربما احقرت منه مسافة خمسين فرسخا
او اكثر من ذلك ، فالطباشير الذى يحمل الى
سائر الدنيا من ذلك القنا . فاما الطباشير الجيد
الذى يساوي مثقاله مائة مثقال او اكثر فهو شيء
يخرج من جوف القنا اذا هزت وهو عزيز جدا ... »
ثم يقول عن مدينة كولم ايضا : « والخيزران والقنا
بها كثير جدا » (انظر ياقوت « الصين ») . كذلك
يقول الادريسي : « ومدينة تانة (بالقرب من
بومباي) جايلة ... وبجبالها وارضها ينبت القنا
والطباشير يتخذ فيها من اصول القنا ومنها يحمل
الى سائر البلاد من المشارق والمغرب » - ص 297 .
وبعد ان تفقدنا منابت القنا وجب علينا ان نقتفي
آثار نواخذة العرب لئرى اين تفرغ سفنهم حملتها

وهاك ما يقوله ابن سيده (المخصص 34/6) عن
« الرماح الخطية » اشهر الرماح عند العرب : (الخط
مرقا السفن بالبحرين (**) ينسب اليها الرماح
وليست الخط بمنبت لها ولكنها مرقا السفن التى
تحمل القنا من الهند كما قالوا مسك دارين (**)
وليس هناك مسك ولكنها مرقا السفن التى تحمل
المسك من الهند) .

ترى كيف ان القناة المطلوبة من منابتها بالهند
والتي ركب عليها خرص او سنان مصنوع فى مصانع
السيوف حول معادن الرصاص القلعي بالهند ، كيف
ان هذه القناة هي التى تصبح « رمحا خطيا » بمجرد
دخولها حدود جزيرة العرب ؟

السهمري :

والحديث عن « الخطي » يذكرنا على الفور بـ
« السهمري » و « الرديني » . لو رجع احد الى
اللفويين واصحاب المعاجم لوجدهم يقولون ان
السهمري نسبة الى سمهر والرديني نسبة الى ردينة
وهما زوجان كانا يقومان ببيع الرماح بالخط ، ولكن
المتبع للشعر العربى والمتأمل فى اقوال اللفويين
 واصحاب المعاجم انفسهم لا يلبث ان يتبين ان
السهمري يفاير الرديني تماما من حيث الصفات
النسوبة الى كل منهما ، فالسهمري يمتاز بصفتين
هما : - 1 - الاعتدال ، - 2 - الصلابة ،
اما الرديني فيتميز بصد الصلابة وهو اللدونة لانه
هو الذى يهتز دون السهمري . وعلى هذا فيا له من
تحديد الاختصاص بحيث يمارس الزوج والزوجة بيع
رماح من نوعين مختلفين - ولعل المفروض انهما
كانا يتخذان محليهما جنبا الى جنب فى سوق
الخط - بدون ان يطفى الواحد منهما على الآخر !
ويا لها من مراعاة للمناسبات والصلاحيات بحيث
يكون بيع الرماح الصلبة من حصة الزوج وبيع
الرماح اللدنة من نصيب الزوجة !! وما يزيد اقوالهم
ارتباكا كما يزيدنا ارتيابا ان احدا منهم على الاقل
- وهو الزبير بن بكار - ذهب الى ان سمهر كانت
قرية بالحشة (انظر التاج حيث جاء ان الصاغاني
انكر هذا القول) كما ان بعضهم قال ان سمهر اسم
امراة كانت تقوم الرماح !!!

(*) ذكر Pliny اسم موضع Chateni يقع على سواحل الخليج هو الخط ولا شك ، (الدكتور
جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 309/2) .

(*) Daden/Dirin = البحرين او جزيرة بالقرب منها - (Heeren, II, 230)

كبير عناء بعد ان حططنا الاغلال التي كانت تقيّد فكرنا . كفانا ان ننظر الى كلمة « Rattan » بالانجليزية هي اسم لنوع معين من الخيزران غاية في المتانة والجودة وتمتاز قناته اكثر من اي شيء آخر بالمرونة واللدونة ، انظر « Rattan » - (Hob.-Job) ومما لا يشك فيه ان هذه الكلمة بالانجليزية منقولة عن « Rotan » بلغة ملايو والهند الشرقية . فهل يستبعد ان تكون (ردينة) الحلقة الوسطى بين « Rotan » من جهة و « Rattan » من جهة اخرى ليس الا ؟

القنا :

لقد آن لنا ان ندون بعض الملاحظات عن اصل كلمة «القنا» . اننا رأينا ان العرب ، مع كثرة وصفهم للرمح ، لم يذكروا اي منبت للقنا في ديارهم . بل بالعكس اجمعت الادلة كلها على انهم كانوا يعتمدون على منابت القنا بالهند ، ولا يفوتنا في هذا المقام ان نذكر ما أورده الجاحظ (البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون 16/3) من ان الشعوب طعنوا في العرب بقولهم : « انما كانت رماحك من مران واستنكم من قرون البقر . . . » - لعل مغزى هذا المطن لا يعدو ان العرب لم يجدوا في ديارهم ما يمكنهم من صنع الرماح بجزئها القناة والسنان - واخيرا يجب علينا ان لا نغفل اعتبار الاحوال الطبيعية اللازمة لنمو القنا وهي تنحصر في سفوح جبال تهطل عليها السماء مدارا ثلاثة أو اربعة أشهر متتالية في السنة . افيوجد مثل هذه الاحوال في جزيرة العرب او شرقها وغربها الا في السند والدكن اي الساحل الغربي والجنوبي للهند ؟ ويخيل الي ان قول الزبير بن بكار السالف الذكر (بان سمهر كانت قرية بالحيشة) يخفي وراءه حقيقة ثابتة وهي ان العرب في وقت من الاوقات اتخذوا من الحيشة بديلا من الهند ، مرجعهم الفضل ،

ان المهم في هذا كله هو ان الزوجين ، على حد تعبير اللغويين ، كانا يبيعان الرماح بالخط والخط ، كما رأينا آنفا ، لم تكن الا مرفا للسفن الواردة من الهند ، اذن فمن المؤكد ان السمهريات والردينيسات كانت رماحا هندية ، هذا بفض النظر عن من قام بأعمال بيعها او توزيعها في الخط . افيستغرب بعد هذا ان يكون التجار العرب قد اخذوا اسمى الصنفين من الرماح - الصلب واللدن - من افواه التجار الهنود ؟ ان مثل هذا القياس يوافق مقتضى طبيعة المعاملات التجارية كما انه يصادف حرص العرب على تسمية الاشياء والبضائع التجارية بأسمائها المحلية . فربما يكون سمهر اسما هنديا جابه العرب مع مسماه (اي الرماح الممتازة بالاعتدال والصلابة) الى الخط وطبعاً خفي امره على الناس لكونه غير عربي ، فلذلك لم يفقهوا غير انه انتشر بين العرب عن طريق ذلك المرفأ بالبحرين (83) .

ولعل القاريء الأريب يتبين في قول ياقوت الآتي تأييدا لجميع ما قدمنا آنفا . يقول ياقوت : « سمهر قرأت بخت أبي الفضل بن العباس بن علي الصولي المعروف بابن برد الخيار . . . قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني الزبير بن بكار قال الرماح السمهرية نسبت الى قرية يقال لها سمهر بالحيشة . . . قلت انا وحدثني بعض من يوثق به ان هذه القرية في جزر من النيل (الأثار للقزويني ص 30 « جوف النيل ») يأتي من أرض الهند على رأس الماء كثيراً من القنا فيجمعه أهل هذه القرية ويستوقدون زواله ويبيعون جيده وهو معروف بأرض الحيشة مشهور - وقول من قال ان سمهر اسم امرأة كانت تقوم بعمل الرماح فانه كلف من القول وتخمين (**) » .

الرديني :

لكن انتفاء شخصية سمهر يستلزم أيضا عدم بقاء ردينة كرامة تخير في خطابها من يخلف في بيع الرماح الصلبة ، الا ان تلك مسألة لا تستدعي

(83) لم استطع الجزم بالاصل الهندي الا انه لفت نظري الكلمتان التاليتان المعبرتان عن الاعتدال والصلابة : SAMA, even, level... straight - Williams : Sanskrit-English Dictionary, p. 1066. KHARA, hard, harsh, rough... dense - Ibid., p. 74

(**) هذا ونجد مثالا آخر لهذه الاسطورة بالذات فيما يتعلق بكلمة « السندرة » (انظر ص 68 الآتية) وقد ادرك القتيبي ان القول « السندرة امرأة كانت تباع القمح وتوفي الكيل » مجازفة لجا اليها الذين وقفوا حيارى امام كلمة اعجمية الفوا استعمالها وعرفوا مدلولها لكن لم يدروا ما اصلها .

أنت قوسا نعت ذي انتقاء
جاء بها جالس بروصاء
بعد اعتياد منه وانتصاء
كافية الطول على انتهاء
مجلوزة الأكعب في استواء
سألعة من آسن السياء

(البيان والتبيين 93/3 - 94)

وانظر أيضا الى قول آخر للرقاشي في صفة
القناة التي تبرى منها القسي :

من شقق خضر بروصيات
صفر اللحاء وخوفيات
جدلن حتى اذن كالحيات
رشائقا غير مؤبنات
انفهن متمطرات
عمرو بن عصفور (85) على استنبات

(المصدر نفسه 71 / 3)

لا يخفى ان بروصا كما وردت الكلمة مضبوطة
في القطعة الثانية والتي جعلها الشاعر « بروصاء »
- « بروصاء » بالضاد المعجمة تحريف من الكاتب
ليس الا - في القطعة الاولى لضرورة الشعر) كانت
ميناء هامسا على ساحل كجرات فوق بمباي حاول
العرب عدة مرات ، قبل فتحهم للسند وابان حكمهم
لها ، الاستيلاء عليها (راجع فتوح البلدان للبلاذري)
وهي لا تزال مدينة معروفة باسمها القديم
« Bharoch »

والشريح بمعنى العود يشق منه قوسان (انظر
قول الشماخ : « شرائج النبع براها القواس »)
هي « chari » بالجيم علامة المعجمة بأخرها .
ومنه يقال لخطي نيري البرد شريحان .

ولا ننسى كيف ان ياقوت خلط بين كله (القلعة)
وبين معدن القصدير بالاندلس لاسباب متشابهة (*)
اذن اهل كلمة « قنا » نفسها معربة من
الهندية « ganna » البراكرتية « gandoo »
السنكرتية « gandaka » . (*)

الوشيج :

اذا كان « الخطي » هندية فهل من الغريب ان
يكون « الوشيج » - الذي لا يثبت الخطي الا هو -
هنديا ايضا ؛ ان اصل هذه الكلمة هو (Vansha)
والجيم في الآخر علامة المعجمة لا غير . وقد عهدنا
العرب دائما يظهرون مكة قوية للاحظة الطبيعة
بالدقة والاتقان وان كلمة الوشيج وما اشتق العرب
منها الا دليل على التثر بالطبيعة واستخلاص
المعاني العامة من مظاهرها فان كل من اتفق له ان
يتمتع بنظرة الى منبت القنا ليقدر تمام التقدير ان
اهم ما يروع المرء من اشجاره هو التفاف سيقانها
وتعائق اغصانها ، ومنه قولهم الوشيج بمعنى
القراية ، والوشج بمعنى الاشتباك . واذا كان احد في
شك من هذا فليتنظر الى كلمة « البيش » (84)
لا ريب في انها هندية معربة اصلها (Visha/Bisa)
استخلص العرب من شجرتة معنى الخضرة
والنضارة فقالوا « بيش الله وجهه » ولاحظوا ايضا
ان شجرة البيش شديدة الثبات والتأصل فقالوا
« اباش الشجرة » .

القسي

اما فيما يتعلق بالقسي ، فقد كفانا الجاحظ
مؤنة البحث عن اصلها بقوله : « وكل قوس بندق فانما
جيء بقناتها من بروص ومدح ببريها وصنعتها عصفور
القواس . وقال الرقاشي :

(*) انظر ص 34 السابقة .

(*) Nainar, S. Muhammad Husayn : Arab Geographers' Knowledge of Southern India, Madras, 1942, p. 193, note 29, vide Platts : Hindustani Dictionary.

(84) « البيش وهو نبت لا يوجد الا بالهند » كذا في الآثار للقزويني ص 85 .

(85) لو كان سمير مثقفا للرماع او يباعا لها لكان من الواجب ان نظفر من شاعر من الشعراء القدماء
باشارة صريحة الى ذلك مثل ما نجد امامنا بخصوص عمرو بن عصفور ، ولكننا بخلاف ذلك
نراهم ، حسبما اعرف ، دائما يذكرون « السميرية » و « الردينية » و « رماح ردينة » (الشماخ ،
ديوانه ص 98) من غير ان يزيدوا شيئا ثم يجيء اللقويون فيفسرون هذه النسبة كما بدا لهم
بدون أي سند على نحو ما فصلنا الكلام عنه .

الكلاب السلوقية

يذكر عند العرب ذكر الكلاب « السلوقية »
وعني على حد قولهم منسوبة الى ساوق قرية باليمن
الا انهم لا يستقرون على رأي بل يظهر انهم
يحيون حول (Sileucia) = سلقية التي يصفونها
بمدينة الروم (معجم البكري) ومدينة اللان ومدينة
بالشام (البندان لياقوت واللسان) . لكن الجدير
بالاهتمام تصريح القزويني بأن « الكلاب يسفدها
الذئب (86) فتأتي بالكلاب السلوقية » (الأتسار ص
29) . وذلك يذكرنا بمشاهدة الاسكندر بارض
الهند وبصحبة الملك (Saubhuti) لكلاب لا ترخي
قبضتها على الاسد حتى ولو قطعت ارجلها . قيل
انها من نتاج الكلاب من النمر (87) ، ثم نذكر ايضا
ان اهل بابل كانوا يستوردون الكلاب من الميناء
الهندي المعروف (Barygaza) = بروص (88) كما
نعرف ان الموكب التاريخي لبطليموس Philadelphus
كان حافلا بالكلاب الضواري الهندية الى جانب
النساء الهنديات وانتابل الهندية ، وبعد هذا كله
نعثر على قول ابن رسته الآتي في معرض الكلام عن
ملوك الهند : -

« وبعدد ملك يقال له نجابه (8) وهو شريف
فيهم وبلهرا الملك يتزوج فيهم ، وهم السلوقيون ولا
يتزوجون الا فيهم لشرفهم وهذه الكلاب السلوقية
يقال انها وقعت من بلادهم ولهم الصنل الاحمر في
بلادهم وغياضهم . الخ » (89) .

وسفوة القول ان قصب الهند على العموم هي
التي كان يضرب بها المثل لما يقول الشاعر :

قصب الهند والقنا أقدانك

والمقادير في السورى اعوانك

الخويري 54/2 . وجاء في كنايات الجرجاني

63 ان الشاعر هندي .

القطن ومنسوجاته

لا شك ان الهند هي الموطن الاصلي لشجرة
القطن الا ان الشجرة الهندية الاصلية كانت طويلة
العمر كما يبدو من اقوال القدماء . اما الشجرة التي
تزرع سنويا فالملتون انها نتجت على ايدي العرب
في العراق وسوريا والبلاد المجاورة ، على كل حال
اقتربت هذه الشجرة بالعرب الى حد انها هي
والسكر والدين ربما اعتبرت المقومات الثلاثة لحضارتهم
في نظر الاوربيين (Watt, p. 569) هذا وقد
اشتهرت الهند منذ قديم الزمان بالجودة ودقة
منسوجاتها التي كان الثوب منها يدخل في حلقة
خاتم ، كما شهد بذلك سليمان التاجر (سلسلة
التواريخ ص 30) ، ويذكر ابن خرداذبه (ص 70)
ان الثياب القطنية المخمل كانت تجيء من الهند كما
ان « الشال » و « الشيت » و « القوطة » من
الاسماء الهندية المعربة .
وبالاضافة الى منسوجات القطن امتازت الهند
ايضا بصناعة الثياب من الحشيش ، ابن خرداذبه
ص (70) .

(86) من طرائق النساخ ان « الذئب » تحولت الى « الثعالب » حيث جاء في صبح الاعشى 42/2

تقلا عن المقر الشهابي ابن فضل الله ان السلوقية « مولدة بين الثعالب والكلاب » !!

Cam. Hist. of India, 1/407 (87)

Heeren, 2/207 (88)

(89) الاعلاق النفيسة ص 135 .

معجم الالفاظ الهندية العربية

صاحب السكان (91) حيث يدخر المتاع) -
معرب من «Creshthin» الكلمة المألوفة في
المصادر الهندية القديمة بمعنى رأس التجار
Cam. Hist. of India ص 137 و 207 و
(477) مشتقة من سنس «Sreshti»
وقد تطورت الى «chatim» و «chetty»
بجنوب الهند (توازي «بانانيه» بشمال
الهند) ومنها سارت عند الاتراك ا بارتولد:
الحضارة الاسلامية ص 88) وهي Seth
بالهندية الدارجة، وربما تكون هي أصل كلمة
«ستي» عند ابن بطوطة (259/4) كلقب
للتجار الكبار في الصين .
(Hob.-Job. - «Chetty»)

اطريفـل ◆ سنس «Triphal»

النـج / يـلـنـج / النـجـوج / يـلـنـجـوج / النـجـيـج =
عود الطيب وقيل هو شجر غيره يتبخر به -
قارن به كلمة «Algum/almug» بالانجليزية
عن سنس «valguka» والتاملية «valgu»
وهو نوع احمر من عود الصندل كان كثيرا
ما يستعمل لنحت الاصنام وصناعة اعمدة
البيوت، ومع ان مثل هذا الاستعمال لم يذكر
في المصادر العربية الا ان الصندل من اعواد
الطيب بدون شك والمقارنة بين الكلمتين قوية
واضحة .

(انظر اللسان «لجج» ، المخصص 198/11 ،
«Algum» O.D. Watt ص 24 و 909

راجع ما ذكرناه آنفا

الماس -

راجع ما ذكرناه آنفا

الـوه / الـالـوه / الـوه / لـوه / لـيه = العود
الذي يتبخر به ، قال ابو منصور : اراها هندية
(اللسان) ، اصلها سنس «Laghu/Lauha»

أبـق = القنب أو قتره ◆ x «abaqa»
بلغة الفلبين (Watt, 790)

ابنـوس = كلمة من الهند الصينية سارت شرقا
وغربا . هي بالصينية
«wu-mon-tzi» وبلهجة Amoy : «O ban-tzi»
(Chau Ju Kua, 216)

انـرج / تـرنـج ◆ سنس «ماتلنفا»
(matulunga/matulanga)
(Watt, 325 Williams, 768)

(راجع ما ذكرناه آنفا)

ادماسـه . سنس «ادماسا»

انظر ايضا ص 88 الآتية ، الحاشية (3) .

ارـجـوان . ف «ارغوان» ◆ سنس

«Ergewan/Argawan»

يقال له ايضا «داداروان / دار اروان (دار
ارغوان) ، وهذا اللون من الملابس مما كانت
القيصرة تختص به فيما مضى وتحظره على
غيرهم - كذا في ابن العبري 491 وانظر
Vullers «ارغوان» .

ارـذ / رـذ / آرـذ / رنـز - قد اتجه بعض العلماء اخيرا
الى الاعتقاد بان المركز الذي انتشر منه الارز
في العالم هو التركستان ، ولذلك قالوا ان أصل
الكلمة هو virinzi/virinza بالفارسية
القديمة = brinj . بالفارسية انجديدة =
virih بالسنسكريتية arisi بالتاملية -
قارن «oryza» باليونانية و Rice بالانجليزية.
(Watt, 824 et seq.; Periplus, 176; Rawlinson, 14)
ارـذـيـز - راجع ما ذكرناه آنفا

ارـيـن = قبة الارض ، تحريف «ازين» ◆
«Ujziyaini» اسم مدينة بوسط الهند -
(Legacy of Islam, p. 93)

اشـتـيـام = رئيس الركاب ، رأس الملاحين ،
صاحب المتاع المحمول في السفينة (90) ،

(x) ◆ رمز معناه «أصله من ..»

(90) Bibl. Geog. (Glossary)

(91) شرح ديوان زهير ص 118 .

بالهندية الاناء ، لف القماط) - وربما كانت
الكلمة برتغالية الاصل كما في

Hob.-Job. - « Basan »

و « سنية » = البقشه ، ابن بطوطة 232/4)
مقأوب من « سنية » . سنس « vasana »
= الهيمان .

بانانويه . الواحد منه « بنيان » . الكجراتية
« vaniyan » . سنس « vanij » .

بخست / فالج -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

بد / بوذا . Buddha او تمثاله ، ومنه
ولد العرب : باذيبوذ اي افتقر بما ان الفقر من
اشهر خصائص الديانة البوذية .

بسمك -

انظر مقالنا الملحق عن العلاقات العلمية (ص 89
وما بعدها)

بقم - لم يأت « فعل » الا قليل بالعربية
(شرح ديوان زهير 54) - ابن دريد : فارسي
معرب (الجواليقي) - الدينوري : ليس في
شجر بلاد العرب ولكنه من نبات ارض الهند
وأرض الزنج (92) ، « بكم » . الهندية
« بكم » .

انظر ايضا « الصرف » و « الورس » .
بلاذر . الهندية « Bhilawa » . سنس

« bhallatka » [= Anacardiaceae] جيد

لفساد الدهن وجميع الاعراض الحادثة في
الدهان من البرد والرطوبة ، وهو من جملة
السموم ايضا (ابن البيطار) - وقد لقب
صاحب فتوح البلدان ب « البلاذري » لانه
شرب من عصير هذا النبات فجن ومات .

انظر « Baladhuri » Watt E.I. : ص 981 ،
ابن العبري - رياض النفوس ص 416 الحاشية
(1) ، سواء السبيل) .

بلور . البراكتية « vailurya » . سنس
والتامية « vaidurya » .

Hob.-Job. « Beryl » E.I. « Billaur »

Rawl « Beryl » ص 14 ، Watt ص 556)

راجع ما ذكرناه آنفا

ف « alwa ») - وقد كان هذا العود .
ولاسيما الذي ينسب الى سقوطه ، يستعمل
كدواء ايضا فان عصارته هي الصبر
(السقوطري) . فارت « aloes » بالانجليزية .
ومن عود البخور هذا ما يسمى بالسسكرتية
« Agaru » (التأملية « Aqhil » . لفة ملايا
« Uggar/Gahru » ، الهندية « Agaru »)
العربية « الفار » (١٥٠) . و « Agaru »

معناه الذي لا يطفو على الماء

و « Laghu » ضده اعني الذي يرسب في
الماء - ولما انتقلت هذه الكلمة الى الانجليزية عن
طريق البرتغاليين

(Portg. : Aquila ; Fr. : Bois d'aigle)

صارت « Eagle-wood » انتقارب في المخرج ،
ثم بدأ الناس يبحثون عن وجه لنسبة هذا العود
الى العقاب فقالوا ان قشرة العود تشبه ريش
العقاب ! ولكن هذا محض اختلاق .

(Watt, 72 ; Hob.-Job. - « Aloes » and « Eagle-
wood »)

انبج / عنبه . الهندية « amba »

والانبجات هي المربيات (او المربيات = الممولات
بالرب) جمع « انبج » وهي فاكهة هندية تربي
فاطلق عند الاطباء على ما سواه . كذا في
شفاء القليل .

انجسدان . ف « Anguzan » . سنس « hingu »

ابن البيطار : قال بعض الاطباء هو (انجدان)
ورق شجرة الحلثيت ، والحلثيت صمغ ،
والمحروث اصله - أبو حنيفة : المحروث اصل
الانجدان ومنابته في الرمل التي بين بست
وبلاذ التيقان -

(انظر ابن العبري و Watt ص 533)

انجسر -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

اوج . سنس « uchcha » - (Rawlinson, 174)

بارجه . الهندية « بيره » - انظر البيروني :
كتاب الهند ص 102 و Fahmy ص 106
باسنه = آلات الصناعات وجوالق غليظ من
مشاقة الكتان ، ليس بعربي محض ، « باسن »

(*) قال عدي بن زيد :

« رب نار بت ارمقها

(البخلاء نشر فان فلوتن ، ص 257 .

(92) مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) المجلد 26 الجزء الثالث - « الجزء الخامس من كتاب
النبات » .

بالانجليزية . (O.D. « Tincal » ; Watt. 171) .
توتيساء - قال صفوان : « ومن توتياء في معادنه
هندي » البيان والتبيين 1 / 38) . سنس /
ف « tutha » .

انظر Watt ص 403)

جلفاظ - يقول الجواليقي : في حديث عمر ان
معاوية كتب اليه يستأذنه في غزو البحر .
فكتب اليه : اني لا احمل المسلمين على امواد
نجرها النجار وجلفظها الجلفاظ - اصل هذه
الكلمة غير عربي -
وجلفظة السفن كانت من اختصاص الهند
لا بسبب طبيعة .
يقول الادريسي :

« وكل ما يجري في بحر الهند والصين من
المراكب السفرية صفارا كانت او كبارا فانها منشأة
من الخشب الحكم نجره وقد حملت اطرافه بعضها
على بعض وهندم وخرز بالليف وجلفظ . بانديق)
وشحم البابة ، والبابة (95) دابة كبيرة تكون في بحر
الهند والصين منها ما يكون طوله نحواً من مائة ذراع
في عرض عشرين ذراعاً بنت على سنام ظهرها
حجارة صدفية ، وربما تعرضت للمراكب فكسرتها
وحكى (ايضاً) الربانيون انهم يرشقونها بالسهم
فتنحى عن طرائقهم ، وذكر انهم يتصيدون ما صفر
منها فيطبخونها في القدور فيذوب جميع لحمها
وتعود شحماً مذاباً ، وهذا الدهن مشهور ببلاد اليمن
في عدن وغيرها . . . وهو عمدتهم في سد خروق
المراكب » (دار الكتب المصرية جغرافيا رقم 150
ص 154 ، والزيادة ما بين المحققين عن نسخة اخرى
رقم 263 .

واليك قول لبيد العامري شاهداً على اشتها
الهند بالبراعة في هذه الصناعة ، يقول لبيد في
تشبيه الناقة :

كسفينة الهندي طابق درءها

بسقائف مشبوحة ودهان

(الديوان ، طبعة الخالدي ، فينا 1880 ، ص 65)

لا شك ان الكلمة انتقلت من الهند الى العربية
ومنها الى اللغات الاوربية ، فالكلمة الهندية والبنغالية
Kalapatti ان كانت مأخوذة من البرتغالية

بنسج = قال ابن دريد : لا احسبه عربياً
المخصص 38/10 ، سنس « Bhangā »
- ومنه بنجته أي ثومه بالبنج -

بهار = الصنم . الكلمة بهذا المعنى منقولة عن
« vihara » وهو معبد البوذيين .

انظر مقالنا الملقح عن « العلاقات العلمية » .

بهار = شيء يوزن به . ومنه بهار بمعنى
العدل وحمل البعير ومتاع البحر ، قال القتيبي :
« يحمن بهارا » أي يحمن الاحمال من متاع
البيت . الكلمة غير عربية كما اجمع عليه
الجميع . ما عدا الازهري . وليست قبطية كما
ذهب اليه ابو عبيدة ، بل هي هندية اصلها
« Bhara » - وهي انما تعني الحمل ويختلف
مقداره باختلاف البضاعة وما تحمل هي عليه
والبلد ايضاً (93) وهذا هو منشأ البلبلة
وتضارب الاقوال بشأن تحديده (94) .

بهطلة = الارز يطبخ باللبن والسمن خاصة .
هندية (المخصص 3/5 والخوارزمي 177 ،
اصلها « Bhata » .

بهند = الذي لا يجوز عليه الحكم لقلته
ومهانته وسقوطه مثل المظني والزامر وما اشبه
ذلك (بزرك 117 ، سنس « Bhandā »

بيشي -

(راجع ما ذكرناه آنفاً)

تكرري = القائد من قواد السند والجمع تكاترة
قال :

لقد علمت تكاترة ابن تيري

غداة البداني هبـرزري

وفي التهذيب الجمع تكاكرة وبذلك انشد
البيت (اللسان « تكرر ») . الهندية « thakur »

تلاج / تلاج = بركة ماء (بزرك 106) ،
الحوض الذي يزيد على عشر في عشر الى ما
يمكن ان يكون (ظفر الواله 2 - 3) .
الهندية « talla »

تنبول . سنس « tambula » .

تنكار . سنس « tunkar/tankar »

- قارن « tingkal » بلغة ملايو و « tincal »

(93) « Bahar » - Hob.-Job.

(94) انظر المغرب للجواليقي .

(95) كذا - « البالة » ؟

(96) « Calputtee » - Hob.-Job.

« Calafate » (96) فالظاهر انها بضاعة الهند ردت اليها .

جونة - لم يستورد العرب من الهند انواع الطيب فقط بل جونة العطارين ايضا، اصلها « Goni » - ولا املك في هذا المقام الا ان اردد قول الاعشى يصف نساء تصدين للرجال حاليات :

اذا عن نازلن اقرانهن

وكان المصاع بما فى الجون

(اللسان (« ج ون » والمخصص 11 / 202)

قارن الانجليزية « Gunny » (Hob.-Job.) - انظر

ايضا Watt ص 261

جيبا (من مصطلحات علم الهيئة) . سنس « jiva » .

جتسره بلجيم الفارسية) = مظلة من ريش الطواويس ، يتخذونها لرؤساء الهند (السيرافي 145) والكلمة هي بالهندية (والفارسية ايضا كما اوردها ادى شير)

خرص = سنان الرمح وقيل ما هو على الجبة من السنان ، اللسان « خ ر ص » . الهندية « Kirich » وبلغه ملايو « Kris » - قارن بالانجليزية « Crease/Cris » . (Hob.-Job. « Crease ». etc.)

(راجع ما ذكرناه آنفا)

الخطي - (راجع ما ذكرناه آنفا)

الخيثران - (راجع ما ذكرناه آنفا)

خيثش - فارسي محض (ادى شير) ، لعل اصلها بالسسكريتية « Kosh » انظر Watt ص 406 .

داذي - نوع من الخمر كان العرب يستوردونه من الهند (انظر ابن خرداذبة ص 71) يقول عنه سليمان التاجر : « شراب النارجيل وهو شراب ابيض ، فاذا شرب ساعة يوخد من النارجيل فهو حاو مثل العسل ، فاذا ترك ساعة صار شرابا ، وان بقي اياما صار خلا » (سلسلة التواريخ ص 18) (*) - اصل كلمة الداذي هو « Tari » بالهندية وهي بالانجليزية « Toddy »

دلسو - مثل « دول » معنى وقريب منه لفظا (ادى شير) .

دوينج . انهدية « دونكي » . سنس « Drona »

(ياقوت : البلدان - « قيس » وسليمان ندوي :

عرب وهندكي) تملقات 63 و

Williams ص 441 .

ذويره . ف « زيريه/زيره » . سنس « Jira » من مادة « Jri »

بمعنى الهضم) - انظر Watt, 442 442 فئات من قصب الطيب الذى يجاء به من بلد الهند ، اللسان) .

وانسج = الجوز الهندي . كانه اعجمي الجواليقي . بلفة بورما « Ong »

رخ - من اداة الشطرنج ، الليث معرب من كلام العجم من ادوات لعبة لهم . سنس « رته » (سواء السبيل) .

رديني - (راجع ما ذكرناه آنفا)

رهمانسج - (راجع ما ذكرناه آنفا)

زنجييل . التامية « Inji-ver » . سنس « Sringavera » - قارن الانجليزية « Ginger » . (Watt, 1139 ; Cam. Hist. of India, 593)

راجع ما ذكرناه آنفا

ساج . الميرتية « Sag » : (Mahratti) سنس « Shaka »

راجع ما ذكرناه آنفا

ساسم / **سلسب** / **سيسب** - ابو حنيفة :

هو من شجر الجبال ، وهو من العتق التى يتخذ منها القسي ، وزعم قوم انه الابنوس ، وقال آخرون هو الشيز ، قال : وليس واحد من هذين يصلح للقسي ، ويتخذ منه السهام ايضا (اللسان « سسم ») =

Dalbergia Sissoo . انهدية « shisham »

سنس « sinsapu » .

وربما تسوى منها الشيزي اي نقصاع من خشب ، كما يقول ابن الاعرابي وأبو عمرو (اللسان « سسم » و « شيز ») . سنس « S'ans'apa » اي القصة المتخذة من خشب

ساسم - انظر Williams ص 998 .

سانسه - الادريسي (دار الكتب المصرية جغرافيا رقم 150 ص 114) : ويسمون هؤلاء المخشين

السانه . سنس « Santha (Sanda) » . (Williams, 989)

(*) قارن به ما قاله ماركو بولو عن الداذي :

The Travels of Marco Polo, Tr. by Prof. Aldo Ricci, London, 1931, p. 285.

سديين - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سرق - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سروة / سرية = نسل صغير مدور مدملك
لا عرض له كأنه مخيط او مسلة أدق ما يكون
من نصال السهام يدخل في الدروع (اللسان)
♦ الهندية « سروة / سرية » ♦ سنس
« S'ora » - قارن ف « سرى = تيربي بر »
نفائس اللغات لأوحد الدين الكرامي)
(Williams, 994)

سكسر - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سهري - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سنن - نظرا الى سبق اهل الهند في الصقل
وما اليه ، لا يفوتنا البحث عن أصله في سنس
« shan » (قارن الإنجليزية « Hone ») .

سنبية - اي الدهسر :

رب غلام قد صرى في فقرته
ماء الشباب عنفوان سنبته

(الاضداد لابن الانباري ص 31)

هذه الكلمة هي في الواقع دليل على معرفة
العرب بالتقويم الهندي فان « Samvat »
انما تعني السنة ، ولا شك ان العلاقات
التجارية ، قبل الاطلاع على علم الحساب عند
الهنود ، هي التي ادت العرب الى تلك المعرفة .

سنندر - « السنندر الجريء المتشيع والسندرة
ضرب من الكيل .. والسنندر مكيال معروف ..
قال ابن الاعرابي وغيره هو مكيال كبير ضخم ..
وقيل السنندرة امرأة كانت تباع القمح وتوفي
الكيل ... قال القتيبي : ويحتمل أن يكون
مكيالا اتخذ من السنندرة وهي شجرة يعمل
منها النبل والقسي ومنه قيل سهم سنندري -
ويقال قوس سنندرية منسوب الى السنندرة
اعني الشجرة التي عمل منها هذا القوس ،
وكذلك السهام المتخذة منها يقال لها سنندرية

وسنان سنندري اذا كان ازرق حديدا «
(اللسان) .

اصلها « Chandra » لا « Sundara »
كما أورده ادى شير ، بالسسكريتية تعني
- 1 - شجرة معينة و - 2 - الرجل البارز
الشهير و - 3 - اللامع البراق - قارن
« سنان سنندري » -
(انظر Williams, p. 315)

سنندروس - السيرافي 117 : « وهو مع
النار كالفط » ♦ سنس « Sindur »
(Williams, p. 115 ; Watt, p. 707)

الشال ♦ سنس « Shala » (؟) وانظر الى قول
صاحب التاج : « والشال هذا الرداء الذي
يعمل بكشمير ولاهور ويجلب به الى البلاد
ويقال انه وبر الجمل سمي به لانه يرفع على
الاكتاف ان كانت عربية » - لا شك انه تحفظ
بقوله « ان كانت عربية » لان نسبة الشال الى
كشمير كانت ولا تزال شائعة معروفة الا ان
تعليله لهذا الاسم بكونه مرفوعا على الاكتاف
يبين لنا طريقة اللغويين في البحث عن الاصول
القامضة لبعض الكلمات .

(Platts, John T. : A Dictionary of Urdu, Classical
Hindi and English, Oxford University Press).

الشبه والشبيه (بالفتح والكسر) = النحاس يصيح
فيصفر ، وفي التهذيب ضرب من النحاس يلقى
عليه دواء فيصفر ، قال ابن سيده : سمي به لانه
اذا فعل ذلك به اشبه الذهب بلونه (اللسان) -
لقد اشتط ابن سيده ولا شك ، انما هو
تعريب Shenbu بالهندية (من الحملانات
المتأثرة باللمعان - انظر ايضا الحيوان 83/1) .
(Watt, 401)

شريج -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

شطرنيج - اللعبة من ابتكار الهند، انظر اليعقوبي
99/1 وما بعدها ♦ سنس « Chaturanga » .
(سليمان ندوي : عرب و هندكي) تعلقات ص
181 وما بعدها .

صلا / صلاة وصلاية = ما يحق عليه الطيب
(المخصص 11 / 202) . سنس « s'ila »
والهندية « سل » .

صنحج ، يتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر
• الهندية « جهانجه » واجتماع الصاد والجيم
في كلمة واحدة علامة العجمة لا غير . (انظر
فرهنك آندراج) . والصنحج ذو الاوتار معرب
« جنك » بالفارسية .

صنل • سنس « Chandan » .

صنفي = العود المنسوب الى صنف
South Cochin China = « Champa »

صمر / صمر = الشعر الذي يتخذ منه
المذاب بنصب العاج والفضة الذي يقوم به
الخدم على رؤوس الملوكة (من مملكة رهمي -
المروج 1 / 385) ، شعر ذنب الحيوان
النتبتي المعروف بـ « Yak » سنس « Chamar »
(Hob.-Job. - « Chowry »)

طاووس • التاميلية « tokei / togai »
قال المسعودي : « للطواويس بارض الهند شان
عجيب ، والذي يحمل منها الى ارض الاسلام
وتخرج عن ارض الهند فتبيض وتفرخ تكون
صغيرة الاجسام كدرة الالوان ، لا تعطي انوارا
للابصار وبادراكها وانما تشبه بالهندية بالثبته
اليسير » .. (المروج 2 / 438) .

طباشير • سنس « Trakkshira »
(راجع ما ذكرناه آنفا)

طن = حزمة القصب ونحوها ، وهو عربي
صحيح لا دخيل ؛ وقال في كتاب البيان
الطن من القصب ومن الاغصان الرطبة اعواد
تجمع وتحزم ، ويسمى الكنشيه وأصلها نبطية
يقال لها « كنشا » ولا اظن الطن عربيا -
وقال في كتاب التنبيه على اللفظ للبصري :
الصواب ان الكنشا وقاية بين السفينتين تدفع
ضرر احدهما عن الاخرى شبه بها الطن وليس
باسم خاص له بالنبطية ، واما الحرف العربي
فالطن مشبه بطن الانسان وهو قامته (شفاء
الغليل)

شكسي - من نمار بلاد الغليل ، ذكره الادريسي
وابن بطوطة • بلغة مليالم « Chakka »
• سنس « Chanpkalu »
(Chau Ju Kua, 212)

شلقاء - الشلق : الضرب والبضع والشلقاء
الكين • سنس « S'alaka » = آلة محددة
من آلات الجراحين ، كانوا يستعملونها للبضع ،
وقد جاء في اللسان ان الكلمة ليست بعربية
محض . (Williams, 995 ; Vaidya, 711)

شمئية = العباد والنساك من البوذيين كما
عند البيروني) • اللغة البالية :

« Samana » : (Pali) • سنس « Çramana »
(Hob.-Job. - « Gautama » ; Cam. Hist. of India,
420)

والكلمة بالفارسية « شمن » اي عابد الاصنام.
انظر الى قول رودكي :
« اين جهان جون بت است وما شمنيم »
وقول الفردوسي :

« برستش كنم جون بتان را شمن »

وذهب صاحب القاموس وتبعه الخفاجي في
شفاء الغليل الى ان « صنم » معربة من « شمن »
الا ان ذلك خطأ كما جاء بهامش لف القمط
بدليل ان شمن يعني العابد لا الصنم .

شمنك = البوق الذي ينفخ فيه (سليمان 7) ،
معدنه في البحرين الهند وسرنديب ، • الهندية
وسنس « S'ankh » .

(Watt, 989; Hob.-Job. - « Chank »; Williams, 988)

شنگل / شناكل • سنس « S'rinkala »
اي سلسلة من الحديد - (Williams, 1018)

شيمت • سنس « chitra » ولا يخفى ان
الاقبال كان شديدا جدا على المنسوجات الملونة
التي اشتهرت الهند بصناعتها .

صرف (= البقم / الورس) • التاميلية
« Shappu »

فنجان * الهندية « بنكام » (ادى شير) .

الفهري / الفهري

- انظر ما سبق -

فوطنة - قال الازهري : رايت بالكوفة ازرا

مخططة يشترها الحمامون والخدم فيتزرون بها . الواحدة فوطنة ، قال الجواليقي : فلا ادري اعربي ام لا « (انظر المغرب) والاصل بالهندية « Pata » .

فوفل * الفارسية « pupal » * سنس

« Kubara » - قال المسعودي :

« الفوفل وهو الذي قد غلب على اهل مكة وغيرهم من الحجاز واليمن في هذا الوقت مصغه بدلا من الطين ، (مروج الذهب باريس 2 / 84) .
(Watt, 83)

فيل * ف القديمة « بيل » * سنس « pilu »

مع بعض الشك . يقال ان الفهلوية هي الاصل ومنها انتقلت الكلمة الى السنسكريتية .

« Elephant » - (Hob.-Job. (Supplement) -
Jefferey : Foreign Vocabulary of the Quran,
Baroda, 1938)

القاقلى - العود المنسوب الى قاقله - مرسى

على الساحل اشرفي لشبه جزيرة ملايو بالقرب من Kelantan (كذا عند ابن بطوطة 242/4 - 243) - والقاقلة (= الهال بوا) الكبيرة لها صلة بمقاطعة Krakor ببلاد Kamboja

(Vide Gerini, G.E. : Researches on Ptolemy's Geography of Eastern Asia, London, 1909, p. 444)

القامروني = العود المنسوب الى قامرون

« Kamarupa » = Assam شرق الهند ، وانظر وصف هذا العود في سلسلة التواريخ ص 130 .

قثارة = حديدة شبه سكة الحرث يدخل

الرجل يده فيها فتكسو ذراعه ويفضل منها مقدار ذراعين وضربتها لا تبقى (ابن بطوطة

« Katar » * سنس (31 / 4)
(Hob.-Job. - « Kuttaur »)

انما يرتفع كل هذا الارتباك والتخبط اذا تذكرنا ان (Cedrella Toona) « Tun/tundu » اسم لشجرة هندية ربما استعملت لفرض الوقاية بين السفينتين واغراض اخرى مماثلة ، ولها اسم آخر مترادف وهو « Kac'cha » .
(Watt, 290 ; Williams, 194)

عاج = انياب الفيلة ، عظم الفيل * Singhalese

(لغة سرنديب) : « ala » = الكبير (العاج

- ال من اصل الكلمة - اي الناب الكبير) او

سنس « ibha-danta » (قارن العبرية :

« Shen habbin » اي سن الفيل .

« Elephant » - (Hob.-Job. (Supplement) -
Raw., II ; Williams, 141)

عدوليلة - (راجع ما ذكرناه آنفا)

غار - انظر الالوه .

غري = صبغ احمر : قال الشاعر :

« كانما جينه غري » - (المخصص 211/11)

قريب الصلة بالهندية « geru » = سنس « gairika » (*)

غريسن / غريل = ما بقي في اسفل القارورة من

الدهن ، ثقل ما صبغ به ، ما بقي في اسفل

الحوض والتدير من الماء والطين ، الطين الذي

يحمته السيل فيبقى على وجه الارض رطبا او

يابسا (اللسان) * سنس « Khal » بتلك

المعاني سواء بسواء (97) والنطق بالهندية

« Kharya » اشبه بالكلمة العربية .

فالج

- انظر ما سبق -

فانيذ

- انظر ما سبق -

فانيل * سنس « pipali » .

« Khal » = sediment, drugs, the deposit of oil, etc. - Williams, 274. (97)

Platt : Dictionary of Urdu, Classical Hindi and English, Oxford University Press. (*)

كسر - انظر « كنيار » .

كوكندن - « لا أحسبه عربيا لانه مفارق لابنتهم »
(المخصص 8 / 58) ♦ سنس
« Khadgadanta »
أي ذو سن كالسيف - (« Sofula » - E.I.) .

كرندة (بزرک 118) ♦ سنس « Karanda »
وربما حذفوا الكاف فقالوا « الرند » - قال
الزهري : والرند عند أهل البحرين شبه
جوالق واسع الاسفل مخروط الاعلى يسف من
خوص النخل ثم يخيظ ويضرب بالشرط
المفتولة من الليف حتى يتمتن فيقوم قائما
ويعمرى بعمرى وثيقة ينقل فيه الرطب أيام
الخرف يحمل منه رندان على الجمل القوي ؛
قال ورايت هجريا يقول له « النرد » وكأنه
مقلوب ويقال له « القرنة » ايضا .

كشلى = الزر والماش ، يجمعون بينهما
ويسمون المجموع منهما كشلى يأكلونه بالشيرج
(نخبه الدهر للدمشقي ص 169) ♦ الهندية
« Khichri »

كنبار - الفزل المفتول من ليف النارجيل لخرز
المراكب (البيروني 103) .

كر - ايضا قيد من ليف او خوص ، جبل السفينة ♦
بلغة مليالم « Kaiyar » والتاملية « Kayiru »
وهي اصل « Coir » بالانجليزية بالاتفاق ،
وهل يستبعد ان تكون هي اصل كلمة « Cable »
ايضا ، فان مدلولها الاصلي لم يتجاوز ذلك
النوع الخاص من الحبل ؟
(Watt ص 355)

لكيشا = الكثير (المقدسي) سنس « laksha »

ليمون ♦ سنس « Limpaka, nimbuka » الشك .
(Watt, 325)

مسك ♦ سنس « mushka » .

مصرية (ابن بطوطة) = الناموسية ♦ سنس
(Williams, 752) « Masa-hari »

قرفة ♦ التاملية « Karppu » = دار صيني
(Watt, 313 ; Raw, 14 ; Cam, Hist., 593)

قرمز ♦ سنس « Kirmi » اي الدودة (قارن
الانجليزية « Crimson ») (Raw., 14)

قرنفل ♦ لغات الهند الجنوبية
« Kirambu/Karampu »

توازيها باليونانية « Caryophyllon »
ويذهب البعض الى ان الكلمة سارت من
اليونانية الى الهند الجنوبية عن طريق العربية .
(Watt, 526)

قسط ♦ سنس « Kushta » .
- انظر ما سبق -

القلمى
- انظر ما سبق -

القلمى
- انظر ما سبق -

القماري = العود المنسوب الى قمار
Cambodia = « Khmer »

قنا - انظر ما سبق -

قند
- انظر ما سبق -

قنقن (الادريسي ، نسخة الدار ، ص 114
القنقن) ♦ سنس « Kankan » نوع من
الحلى كالسوار .

كاغذ ♦ Kodzo = شجرة موطنها الاصلي
الصين واعالي بورما ، صنع منها الورق فى
قديم الزمان = « الكاذي » عند المسعودي :
الروج 2 / 202 - . (Watt, 186)

كافور ♦ سنس « Karpura »

كبتيح = الودع (سلسلة التواريخ ص 6) ♦
الهندية « Kavadi »

مطيمال (بزرك 36) = قارب صغير يشد الى سفينة كبيرة * الهندية « Patela » (Periplus, 248)

المندلي = العود (98) المنسوب الى مندل (Mandal) وهي تعني « الاقليم » عامة والمشهور « كورومندل » بجنوب الهند الا انه قد ورد في بعض المصادر ما يشعر بوجود « مندل » (= اقليم) آخر بالقرب من قامرون بشرق الهند . اما ما ذهب اليه Ferrand من ان النسبة الى « Mandri » مكان بعينه على الساحل الجنوبي للهند فاحتمال بعيد جدا (انظر حدود العالم ، تذكارجب ، 1937 م ص 240) . هذا وقد سجل الشاعر ضياء الدين نسبة المندلي الى الهند بقوله :

المندلي كريم

سقياله ولفرسه

لما اراد يرينا

للهند نسبة جنسه

غدا على النار ملقى

يجود فيها بنفسه

(حلبة الكميث ص 153)

وذكر ان الحسين بن برمك هو الذي حمل العود « المندلي » (كذا في صبح الاعشى 2 / 124 - وفي التويري 29/12 « الهندي ») معه اثر عودته من الهند وعرضه على المنصور فاستحسنه وامر ان يكتب الى الهند بحمل الكثير منه فاشتهر بين الناس وعز من يومئذ واحتمل ما فيه من مرارة الرائحة وزعارتها لانها تقتل القمل وتمنع من تكونه في الثياب .

موز * سنس « mocha » .

نارجيل * « narikila » .

نارنج * سنس « Nagaranga » - قال المسعودي : « شجر النارج والاترج المدور جلب من ارض الهند بعد الثلاثمائة فزرع بعمان ثم الى البصرة والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الشجر الشامي وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف ، فعدمت منه الروائح الخمرة الطيبة واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة اليد (المروج 2 / 438 - 439) - هذا وقد جلب النارج الى الهند من الصين حيث موطنه الاصيل (Watt ص 318) .

النردين = هو السنبل الهندي (باليونانية « Nardos ») اصلها بالسسكريتية « Nalada » (بالفارسية القديمة « ناردا ») - انظر ادى شير - « الرند » .

النمط - اصلها « Namata » بالسسكريتية (= ف : نمذ) وربما استعملوا هذا النوع من الصوف الغليظ لتغطية المرات ، ومن هنا نشأ معنى الطريقة والمذهب .

النيلاج * سنس « nili » .

هرد * سنس « hari dra » اي الخشب الاصفر = الاردوية (Watt « haldi » ص 445) وهو الكرم كانوا يأتون به من الهند (ابن البيطار) وفي الحديث « ينزل عيسى بن مريم في ثوبين مهرودين (المخصص 211/11) .

هرهرة = حكاية اصوات الهند في الحرب * « Hari Hari »

هندول - مثل لحفة على اعناق الرجال (بزرك 118) * سنس « hindola » - قارن « Andor » بالبرتغالية (H.J.) - ومنه :

هندويل = الضخم الانوك المسترخي الضعيف

(98) العود الهندي « سمي عودا حتى صار اسما علما من قبل انه اشرف انواع العود » (المخصص 198/11) .

(Hob.-Job. - « Sappan Wood » ; « Brazil Wood »

وشيح =

- انظر ما سبق -

اليسارة = « التي تكون ببلاد الهند وتفسيرها

المطرقانه يدوم عليهم في الصيف ثلاثة اشهر

تباعا » (أبو زيد السيرافي في سلسلة

التواريخ ص 126) - كانوا يقولون « فلان

يسر بأرض الهند أي شتا هناك (السعودي :

مروج الذهب 1 / 327) - أصل الكلمة

بالهندية « varsha » .

الهيل أو الهمال ، هي بالسنسكريتية « ايل »
وبالفارسية « هيل » وكان معدنه رأس هيلي /
ايلى على الساحل الغربي بجنوب الهند وذكره
الجغرافيون العرب وابن بطوطة الرحلة 81/4 .

ورس (= اليم / الصرف) - شاعت كلمة
« الورس » وانتقلت من العربية الى اللغات
الاوروبية في العصور الوسطى بالإيطالية « verzi »
حتى انه يقال ان البرازيل Brazil من الورس ،
سميت تلك الخطة من العالم الجديد كذلك
لوجود هذا النوع من الخشب فيها .

الرموز

سنس = اللغة السنسكريتية

ف = اللغة الفارسية

♦ = ان اصل الكلمة باللغة الفارسية او السنسكريتية او .. ما هو كذا وكذا .. الخ.

المراجع

- 1 - الآثار للقزويني = آثار البلاد واخبار العباد ، صنيف زكريا بن محمد بن محمود القزويني .
E. Wustefeld, Gottingen, 1848
- 2 - الاخبار الطوال للدينوري ، ليدن ، 1888 م
- 3 - الادريسي = نزهة المشتاق للشرىف الادريسي ، نسخة دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 .
- 4 - ادى شير : الالفاظ الفارسية المعربة .
- 5 - بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .
- 6 - ابن بطوطة = الرحلة له ، طبعة باريس .
- 7 - بزرك = كتاب عجائب الهند ، تأليف بزرك بن شهريار الناخذاه الرام هرمزي ،
Par P.A. Van Der Lith, Leide, 1883-1886.
- 8 - البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون .
- 9 - البيروني = كتاب الهند ، طبعة زخاو
- 10 - الجواليقي = المغرب له ، طبعة الدار ، 1361 هـ .
- 11 - سلسلة التواريخ (سليمان التاجر وابو زيد السيرافي) ، باريس 1811 م
- 12 - سليمان ندوي : (عرب وهندكي تعليقات ، اله آباد ، 1930 م .
- 13 - شفاء الفليل للخفاجي .
- 14 - سواء السبيل في المغرب والدخيل ، تأليف توما آرنلد وقاضي ظفر الدين احمد ، مطبع رفاه
عام 1903 م .
- 15 - ظفر الواله بمظفر وآله للحاج دبير ، طبعة السير دنيس روس .
- 16 - ابو الغداء : تقويم البلدان ، باريس ، 1830 م .
- 17 - لف القمط = لف القمط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المغرب والدخيل والاغلاط ،
لابي الطيب الصديق بن حسن القنوجي ، بهوبال ، 1296 هـ .
- 18 - المروج = مروج الذهب للمسعودي ، طبعة باريس .
- 19 - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تأليف الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن ابي
طالب الانصاري الصوفي الدمشقي ، بطرسبورغ ، 1865 م .
- 20 - ابن الوردي (سراج الدين) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب .
- 21 - ياقوت : معجم البلدان .

المراجع الانجليزية

- (1) Bibil. Geog. = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Ed. de Geoeje, Leiden, 1870-94.
- (2) Chau Ju Kua : Chu-fan-chi, translated and annotated by F. Hirth and W.W. Rockhill. St. Petersburg, 1911.
- (3) Fahmy, Ali Muhammad : Muslim Seapower in the Eastern Mediterranean, 1950.
- (4) Hirth : China and the Roman Orient, 1885.
- (5) Hob.-Job. = Hobson-Jobson : A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and of kindred terms by Col. Henry Yule & Arthur Coke Burnell, London, 1886.
- (6) Hourani, George Fadlo : Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Mediaeval Times, Princeton University Press, 1951.
- (7) Legacy of Islam, ed. Sir Thomas Arnold, Oxford University Press.
- (8) Periplus = The Periplus of the Erythraean Sea (Shoff), 1912.
- (9) Rawlinson, H.G. : Intercourse Between India and the Western world, Cambridge, 1926.
- (10) Smyth, W.C. : Dictionary Hindustani and English, London, 1820.
- (11) Vaidya, L.R. : The Standard Sanskrit - English Dictionary, Bombay, 1889.
- (12) Watt, Sir George : The Commercial Products of India, London, 1908.
- (13) Williams = Sanskrit - English Dictionary by Monier, Williams, Oxford, 1872.

بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب

للبنافاة والطفافة التسلل عبر الحدود والالتجاء بملسك السنء ، مما زاء فى اهماام العرب بجارءهم ، وفى الوءء الذى كانء المالك الشرءىة للءولة الأموىة قء اسءمءء قوءءا واسءءءاءا لشن هءوم شامل برا وبعرا معا بعء أن انءظمء أمورها وسلسء صعاها باءء امرة حاكمها الحازم ذى البأس الشءىء الحءاء ابن يؤسف الءءفى ، فى ذلك الوءء سببء الصلءة الءءارىة بصورة مألوفة فى الءارىء القءىم والحءىء على السواء ، الءءءل السىاسى والعسكرى من ءانب العرب ، وذلك بأن بعض القراءنة اسءولسوا بالءرب من ءىبل على مرءب كان ىنقل الى العراق عءءا من الأرامل والبءامى لبعض الءءار العرب الءىن وافتهم آءالهم فى ءزبرة سلان ثم اعءئر ءاهر ملك السنء بعءزه عن ءنفىء طلب الحءاء ببعاءبءة المءرمىن وءسلىم الأسرى ، فلم ىكن منه هو الآخر الا أن ءءب ابن آءىه الشاب مءمء بن القاسم الءءفى لءزو السنء نهائىا (3) .

ءءل مءمء بن القاسم السنء فى سنة 89 هـ ووفق فى انءاء مهمءة ءوفىقا ءاما ، فانه ءمءن فى بحر ءمسة اعوام من القضاء على مملكة ءاهر وءءءها للمسلمىن من منابع نهر ءهلم بكشمىر فى الشمال الى البحر فى الءنوب ، الى ءءوء مملكة ءنوء (ءنوء) بالءرب من ملءان وءءوء ءءراء فى الشرق ومنذ ذلك الءىن ظل اءلىم السنء ءزاء من الءولة الأموىة ، ءعاقب على ءكمه عءء من الأمراء العرب ، سعى بععضهم لءوسىع نطاؤه فى الشرق وعلى ساحل ءءراء فلم ىلقوا فى ذلك ءبىر نءاء ، ولكنهم على ءل ءال بقوا اقواء قاءرىن على آءماء الءوراء مالكىن لازمة الأمور فى الءاأل .

وهكذا اصبءء للعرب علاءاء سىاسىة وطىءة مع الهند بعء أن كانء لهم علاءاء ءءارىة ءوىة معها فبما ءبل الاسلام ، وكان من المءءوم على هذه القاعءة الءءىءة للعرب ءاأل اراضى الهند أن ءصبء مبءا

من المءروف أنه لم ىكن هناك اسم واءء ىطلق على الشبه ءارة الهندو - الباكسءانىة بأكملها بل كانء الاءالىم المءءلفة ءعرف بأسمائها ءل على ءءة وربما شمل اسم العاصمة ءمىع المناطق البواقعة ءءء سلءءءها أو نفوءها . وكان نهر « السنء » الذى ىذكره العرب القءماء باسم « مهران » - مءروفنا باسمه الءالى الى أن امءء الىه نفوء أهل فارس فى العصر القءىم فسموه « هنءهو » ءرىا على عاءءهم فى اءءال السىن فى السنسكرىة بالهاء ، ولذلك امءلء ءءىرة فى اللغة الفارسىة القءىمة . ثم ءاء العرب فأءروا اسم « السنء » للأراضى البواقعة على ضءفى ذلك النهر ، وءءاوا ىطلقون « الهند » على ما وراءها (1) .

كان العرب ءء عرفوا الهند قبل الاسلام وأءبوها الى ءء انهم اءءءوا منها اسما لنساءهم ، ولكنهم انما عرفوا عطورها وأءارها وسىوفها وءمارها ولما كانء ءءارءهم عن طرىق البحر كان من الطبىعى أن ىءءصر اءصالهم على الشواطىء والسواءل ، ولاسىما الساحل الغربى والءنوبى ، لا أءل على ذلك من اسماء فى العربىة هى فى الأصل اسماء للأمكنة الءى كانءءسءورء منها مسمىاءها، مثل المنءل والهبل (2) ثم ءاء الاسلام فعصاء هذه المءرفة والصلة الءءارىة من أهم ما وءه المسلمىن من عرب عمان والمناطق الساحلىة المءاورة لها الى شن الفاراء البءرىة بفىة ءأسىس ءعائم ءكمهم على مواءع من ساحل السنء وءءراء ، ءهانة (ءانه) بالءرب من بومباى وبهروء (بروص) وءىبل بالءرب من كراءشى ، وكان ذلك فى عهد الءلىفة الءانى عمر بن الءطاب الذى كان شءىء الءءر من « من ءمل الءوء على العوء » ثم ءءررء مءاولة من هذا القبىل فى عهد عثمان أيضا ، ولكن لم ىكن لهذه الفزواء اثر ىذكر ، ومضى العرب فى هذه الاثناء قءما من نصر الى نصر ءءى تم لهم فءء بلاد فارس ءلها وصاءرء ءءوء ءولءهم الشرءىة ءءاآم ءءوء مملكة السنء الغربىة مباءرة بءىء ءسنسى

(1) الءءور السىء سلىمان الءءوى : عرب وهءءكى ءعلقاء ص 12 .

(2) على الءربىة ، العوء المسءورء من « ءورومءءل » كان العرب ىطلقون عليها « المءبر » أيضا ووفه « هال » أو « هىل » (بالعامىة : ءب هان) المسءورء من (رأس) هىلى أو « ابلى » بءنوب الهند بالءرب من ءورومءل ، كانء مباءة ومءىنة عامرة أيام زىارة ابن بطوطة لها ، راءع الرءلة 81/4 .

(3) الفءوح للبلأزرى 431 - 432 و 435

خط لسير العلوم والآداب الهندية الى عاصمتهم ، ولكن الحركة — لأسباب طبيعية عامة — انها نمت وازدهرت في العهد العباسي الأول . أما في العهد الأموي فلا يلفت نظرنا الا ظواهر معينة ، هي بمثابة المقدمة لما نحن بصددده في مقالنا هذا .

كان العرب قد عرفوا من قبل الزط (جات) والميد وهما قبيلتان من قبائل السند عرفتا بالغزو والتهور والشراسة فجندهما الفرس ، وربما كثر احتكاكهما بالعرب حتى اتنا نجد عبد الله بن مسعود يقول عن بعض من رآهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم « رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم » (سنن الترمذي ، باب الأمثال) مما يدل على أنهم كانوا معروفين لدى العرب تماما في ذلك الوقت (4).

ثم بعد أن تم فتح فارس على أيدي العرب انخرطت هاتان القبيلتان ولاسيما الزط في جنود الاسلام : استخدمهم علي رضي الله عنه لحراسة أموال البصرة في وقعة الجمل ، وانزلهم معاوية في مدن الشام الساحلية لمواجهة الروم ، وعمرهم وليد ابن عبد الملك في انطاكية (5) . هذا ما يتعلق بالعصر الذي سبق فتح العرب للسند ، أما بعد ذلك فقد تيسر للعرب أن يعرفوا لا الزط المحاربة فحسب ، بل السنديين عامة ومن أهم ما ساعد على ذلك نقل عدد كبير من العبيد والأماء أسرى الحرب الى العاصمة (x) وبعض المدن الكبيرة الأخرى ، وهناك بدأ العرب يتبعون خصائص وعوائد هذا العنصر الجديد بعناية

كبيرة ، كما أن أولئك الدخلاء اقبلوا على الأخذ بأسباب الحضارة العربية بجد واهتمام ، ولم يلبث العبيد من أهل السند أن بدأوا يساهمون مساهمة فعالة في الحوادث الجارية حتى أنه ذكر أن أحدا منهم (ابن زياد بن أبي كبشه) اشترك في قتل الخليفة الوليد بن يزيد في سنة 126 هـ (6) أما مدى سرعة تعريبهم واندماجهم في المجتمع والثقافة العربية فيمكن أن نقدرها بوجود علماء أجلاء أمثال ابن معشر نجيب بن عبد الرحمن السندي (7) وابن الاعرابي (8) ؛ ورجال الحكومة مثل السندي بن شاهك (9) وشعراء أمثال أبي عطاء السندي وأبي الأصم (10) كلهم موال انحدروا من أصل سندي لم يتجاوز عهدهم جيلين و ثلاثة على فتح السند ، وقد استغنت بذكرهم عن التعرض للذين نشأوا فيما بعد .

لا شك أن الارتقاء وغيرهم من عامة أهل السند لم يكونوا ليعرفوا العرب الا برطانتهم وجعلهم الجيم زاء وبعض الملح تتعلق بالمعجزات والخصيان منهم (11) وما الى ذلك من عجائب العوائد وغرائب الاخلاق كما اشرت اليه آنفا وربما كان وجودهم مثار التساؤل بين أهل الفكر عن مدى الحضارة والعلوم وحكمة الهند ومبعث تطلع الإذهان الى الوقوف عليها ، ولكن التبادل العلمي ونقل الآداب الهندية الى العربية إنما كان يتوقف — ولا غرو في ذلك — على الجمع بين الخاصة وأهل العلم من الطرفين العرب والهنود ، وهل يتأتى ذلك الا اذا استقرت الأحوال الداخلية

(4) يرجح أن الامام ابا حنيفة كان من سلالة هؤلاء الزط ، فانه ذكر أن جده زوطي كان من كابل (حسب الرواية المشهورة . راجع ابن خلكان وتهذيب الاسماء للنوي) نقل الى الكوفة بين أسرى الحرب أما ادعاء حفيده اسماعيل بن حماد ، الانتساب الى أسرة مالكة من الفرس فتلك محاولة معروفة حاولها كثير من الموالى لاثبات اصلتهم في العز الذي نالوه في الاسلام .

(5) البلاذري الفتوح : 375 — 379 .

» انظر قول ابي النجم المعجلي : علقت خودا من بنات الزط الخ (الاغاني)

(6) ابن الأثير 217/5 .

(7) شذرات الذهب 278/1 سمع عنه الواقدي بالمدينة .

(8) « كان أبوه زياد عبدا سنديا » ياقوت : معجم الادباء .

(9) السندي بن شاهك مولى جعفر المنصور ، كان اميرا على دمشق فأخرب سورها في فتنة ابي الهندام في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة هرون وولي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك . ترجمته في مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية الجزء السادس الورقة 42 ، وكان للسندي هذا ابن يسمى ابراهيم روى عنه الجاحظ كثيرا (البيان والتبيين 1 \ 141) .

(10) أبو عطاء معروف ترجمته في الاغاني وأبو الأصم الهندي له ذكر في المرزباني 513 (« أبو الضلع » كذا في الفهرست 164) والحيوان 171/7 .

(11) البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) 70/1 ، 74 ، والحيوان 118/1

وتفرغ اولو الامر لتشجيع الحركات العلمية ورعاية الادب وذويه ؟

كانت اواخر ايام بني امية ألوهن والاختلال والفتن اعتبها الانقلاب العباسي فلاقى أبو مسلم الخراساني بعض العناء في أخضاع منصور بن جمهور الكلبى ذلك الطاغية الذي كان قد اغتصب ولاية السند منذ زمن غير بعيد ، ولكنه نجح أخيرا في ضم هذه الولاية للسفاح على يد موسى بن كعب التميمي في سنة 134 هـ . وقد اقترن ظهور العباسيين بتقلب العاصمة من دمشق الى بغداد فازداد التقارب من السند جغرافيا ، مع ما هو معروف عن الخلفاء العباسيين وأعيان السلطنة في عهدهم من الميل الشديد الى الفرس والعجم وحضاراتهم وآدابهم .

لم تكد الأمور تنتظم في العهد الجديد حتى نرى وفدا من أهل السند يفد على السفاح ، وذلك قبل موته بثلاثة ايام (12) . لا نعلم اذا كان هذا الوفد يضم احدا من أهل العلم ، ولكن على كل حال لم يكن له اثر يذكر لمصادفة وصوله في وقت غير ملائم .

ثم استمرت الأحوال تنهيا لجلب العلوم من الخارج في عهد المنصور مما حفز أهل العلم في السند الى عرض ما لديهم ، فوصل احد منهم كان متضلعا في علم الهيئة والرياضيات ، الى بغداد في سنة 154 هـ ، فنتقدم الى الخليفة بكتاب «سدهانت» (السند هند x) الذي قام ابراهيم الفزاري بترجمته الى العربية (13) واطلاع العرب على «سدهانت» يعد نقطة هامة لا من حيث كونه بداية حسنة للتبادل العلمي بين الهند والعرب فحسب ، بل من حيث الآثار المترتبة على ذلك ايضا ، فانه وان يعلم بالضبط متى تعلم العرب «الأرقام الهندية» فالظنون أنهم تعلموها عن طريق ترجمة «سدهانت» الذي يحتوي اليابان الثالث عشر والرابع والعشرون منه على بسط وبيان لتلك الأرقام (14) . على كل حال نال «سدهانت» من اقبال العرب وتقديرهم ما كان سببا لرفع صيت الهند الى درجة عالية ، آية ذلك أنهم قاموا في مدة قصيرة بترجمة كتابين آخرين في علم الهيئة هما «ارجيهذ» (الأصل : آرية بهت) و«أركند» (الأصل كهنند اكهنديك Khanda-Khadyaka) نقل الاول أبو الحسن الأهوازي والثاني يعقوب بن طاروق في سنة 161 هـ (15) .

(12) تاريخ اليعقوبي 433/2 .

x قال البحتري (د الجواب 160/2) : الست بالسند هند ذا بصر ان لم تفق حاسبيه تنتصف

(13) البيروني : كتاب الهند ص 208 .

(14) عرب وهندي تعلقات ص 134 هذه الأرقام مغروفة عند العرب بس «الأرقام الهندية» وعند الأفرنج بس «الأرقام العربية» [Arabic figures] لأنهم بدورهم أخذوها من العرب ، أعني عرب الأندلس وربما سماها عرب الأندلس «حساب القبار» لأن الهنود كانوا يرسمونها على التراب أو الرمل بدل اللوحة أو السبورة لتعليم الأولاد كما يشاهد ذلك في بعض أرياف الهند الى يومنا هذا . انظر قول الشاعر يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند :

وقلم مداده تراب
في صحف سطورها حساب
يكثر فيها المحو والاضراب
من غير ان يسود الكتاب
حتى يبين الحق والصواب
وليس اعجام ولا اعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

(الحصري : زهر الآداب 90/2)

(15) هاك الألفاظ الهندية التي بقيت كمصطلحات علم الهيئة بالعربية : «كردجه» (الوتر المستوي) أصلها بالسنسكريتية «كرمجيا» ، «جيب» أصلها «جيو» ، «أوج» أصلها «أوج» بالجيم الفارسية ، «أرين» من «أجين» اسم لبلدة في وسط الهند ، «أدماش» أصلها «أدهماسا» .

وعلى اثر هذه البداية الحسنة لابد ان الامراء واهل العلم في بغداد قد عرفوا واعترفوا ببراعة اهل الهند في ميادين اخرى ، ولاسيما الطب ، فلذلك نراهم يشيرون على هارون الرشيد ابان مرضه باستقدام الطبيب الهندي الشهير « منكه » (مانك) وورد الطبيب الهندي فنج في علاج الخليفة وحظي عنده ويقسي يشرف على نقل الكتب من اللغة السنسكريتية (16) .

وفي هذه المرحلة اي بعد ان كان الطريق قد مهد لحركة نقل العلوم من الهند الى بغداد يطالعنا التاريخ بظاهرة قوية ، يجدر بنا ان نتفق عندها لعلنا نكتشف حقيقة طالما غمضت على كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين . وتلك الظاهرة هي التي اشار اليها ابن النديم بقوله :

« الذي عني بأمر الهند في دولة العرب يحيى ابن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند واحضارها علماء طبها وحكائها » (كذا / . الفهرست 345 .

فما هو مبعث هذه النزعة الى الهند وعلومها في نفوس البرامكة ؟

لنبحث عن اصل البرامكة حتى نصل الى جواب لهذا السؤال .

البرامكة من أصل بوذي لا مجوسي

المعروف عن البرامكة ان اجدادهم كانوا يتولون قبل الاسلام معبدا للمجوس ببلخ ، وكان « برمك » لقباً لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى « نوبهار » . اما اصل كلمة « برمك » من ناحية اللغة فلم يتعرض له القدماء ، وجاء المتأخرون من المؤرخين واصحاب المعاجم من الفرس فقالوا بان الكلمة مشتقة من المصدر « برمكيدن » اي المص بالفارسية وايدوا قولهم هذا برواية مؤداها ان اول « برمك » اسلم (بعد ان خرب قتيبة بن مسلم « نوبهار » في سنة 86 هـ) لما وقف امام الخليفة اضطر الى الاعتراف بانه كان يحمل معه سما في خاتمه حتى يمسه (بالفارسية : « برمك ») اذا وجد الموت خيراً من حياة الخزي ،

وهذه الرواية مختلفة بدليل ان المؤرخين مجمعون على ان « برمك » لقب قديم كان يلقب به رؤساء « نوبهار » قبل الاسلام بكثير . وقال بعض آخرون ان « برمك » اسم لمكان والنسبة اليه « برمكي » . واتى ابن الفقيه الهمداني وياقوت بتعليقين في منتهى الغرابة حينما قال الاول ان « برمكة » يعني حاكم مكة (17) وذلك لان معبد بلخ كان قد انشئ ليكون نظيراً لمكة ، وقال الثاني ان « بر » هنا بمعنى الابن وان « برمكة » اما يعني ابن مكة (18) وهذه الأقوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء .

وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق مؤرخ « البرامكة » (باللغة الأردوية) الى ان اصل « برمك » هو « برمخ » - « بر » يعني « كبير » و « مخ » [magos باليونانية و « مجوس » بالعربية) يعني عبدة النار - وعلى هذا « برمك » يكون معناه « رئيس المجوس » وهذا القول يظهر انه قريب جدا الى الصواب ، مع انه لم يعرف بعد مثال آخر لابدال « الغين » « بالكاف » في التعريب ، الا انه قد بقي ان نتأكد اذا كان معبد بلخ معبدا للمجوس يعبدون فيه النار او معبدا للبوذيين يعبدون فيه الاصنام او « البد » على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ ان بايدينا وصفا مسهباً لهذا المعبد عند المسعودي والهمداني وياقوت يمكننا ، اذا أمعنا النظر فيه ، من الاهتداء الى جواب على هذا السؤال وهناك ما يقوله ياقوت عنه :

« قال عمر بن أزرق الكرمانى : كانت البرامكة اهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف ، وكان دينهم عبادة الاوثان ... ونصبوا حوله (اي حول بيت النوبهار) الاصنام وزينوه بالدبياج والحريسر وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ... وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه ، وتهدى له وتلبسه انواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الأعلام ، وكانوا يسمون أعلى قبته « الاستن » وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع بأروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلاثمائة وستون مقصورة ليسكنها خدامه وقوامه

(16) ابن أبي أصيبعة 33/2 .

(17) كتاب البلدان ص 323 « فسما سادنها الاكبر برمكا » اي انه باب مكة ووالي مكة فصار كل من ولى منهم ذلك يسمى برمكا .

(18) معجم البلدان (نوبهار) « كانوا يسمون السادن الاكبر « برمكا » لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه ابن مكة فكان كل من ولى منهم السادنة برمكا .

وسدنته ، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ، ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة فتلقته بترمز وبينهما اثنا عشر فرسخا ... وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تديسن بذلك الدين وتحج الى هذا البيت ، وكانت سنتهم اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الأكبر ويقبلوا يد برمك .

هذا الوصف لياقوت في معجم البلدان (النوبهار) يطابق لفظا ما أورده الهمداني (البلدان ص 3 — 322) بحيث يصبح من المؤكد أنها استقياه من مصدر واحد وان لم يذكر هو الآخر اسم عمر بن أزرق الكرمانى كما فعله ياقوت هو الأول . كذلك يوافق هذا الوصف معنى ما جاء في مروج الذهب — 48/4 — للمسعودي (ايضا آثار البلاد للقرطوبى 221) ومما يجدر بالملاحظة والتنبيه عليه في هذا الوصف :

أولا : لم يرد فيه ذكر للنار حتى يقال ان النوبهار كان بيتا من بيوت النار .

ثانيا : بالعكس نص فيه على ان معبد بلخ لم يتجاوز ان يكون بيتا لعبادة الأوثان والأصنام التي كان من بينها « الصنم الأكبر » الذي كانت سنتهم ، اذا هم وافوه ، ان يسجدوا له .

ثالثا : من المعروف ان « ملوك الهند والصين وكابل شاه » ولنصف اليهم نيزك طرخان ملك تركستان الذي جاء عنه في الهمداني وياقوت (وستقل هذه القطعة فيما بعد) أنه غضب من قبول البرامكة الاسلام وزحف اليهم بجيشه ونكل بهم كل هؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذي (Budhism) .

رابعا : ان (« الأستن » « آسبت » « است ») ليست الا اشكالا محرمة لكلمة « استب » بالأصل « استوب » (stupa) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي أودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب مبعثرة في عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع موجودة في الهند منها « استوب سانجي » بالقرب من مسقط رأسي مدينة بوفال في وسط الهند . يظهر

ان الكتاب كانوا اعرف بكلمة « الأستن » اي العامود بالفارسية فحرفوا « استب » الى ذلك الشكل .

ثم هناك أدلة أخرى ترشدنا الى الجزم بأن معبد بلخ انما كان معبدا للبوذيين وهي :

(ا) ان بلخ جزء من اقليم خراسان وما وراء النهر ومن المحقق ان « على هذا المذهب السنية اي البوذية ، كان أكثر هل ما وراء النهر قبل الاسلام » (الفهرست 345) .

(ب) يزيد المسعودي في وصف النوبهار فيقول : « وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقيب أنه قرأ على النوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته : قال بوذاسف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية (19) كذب بوذاسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال ان لا يلزم باب السلطان » . اما « بوذاسف » فلاشك ان المراد منها « بوذا » لا غير ولعل أصلها « بودهاستور » كما ذهب اليه المحقق زخاؤ (انظر مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند) .

وقد وردت هذه الحكاية ايضا في مسالك الابصار (224/1) لابن فضل الله العمري وهناك « سوراشف » بدل « بوذاسف » مصحفا

(ج) قال العمري ايضا : « بناء منوشهر الهندي وكان يأتيه من الصائبة من يتقرب بالقر » لا يستبعد ان يكون المراد من المتقربين بالقر « الهندوس » لا غير بناء على ان البعض يرون ان أصل « هندو » هو « اندو » اي القمر (قارن المسعودي : « النوبهار ... بناء منوشهر ... على اسم القمر ») .

(د) قد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد للبوذيين في مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلخ في القرن السابع الميلادي اي قبيل او بعيد فتح العرب لها (دائرة المعارف الاسلامية « Barmakids » .

فهل من شك في ان النوبهار لم يكن بيتا من بيوت النار يعبد فيه الجوس بل انما كان معبدا للبوذيين يعبدون فيه الأصنام او « البد » واذا وثقنا من هذا فليس من الصعب الاهتداء الى ان أصل النوبهار هو « نووهار » وهاه اسم معروف لمعبد البوذيين والخاتمة حوله ولا

(19) في مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلخ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية ... الخ » .

هما المستشرقان زخاو (مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند ص 31) وبرتھالد (Barthold) دائرة المعارف الاسلاميه (Barmakids) كما ان الاول هو الذي بحث عن الاصل السنسكريتي لكلمة « برمك » ثم تتبع نتائجها الكاتب الهندي الدكتور السيد سليمان الندوي الذي يرجع اليه الفضل في بسط الدلائل كما قد اقتبسها هنا من كتابه « عرب وهنديكي تعلقات 102 - 124 ، ثم يمضي الدكتور السيد سليمان الندوي خطوة اخرى فيلفت النظر الى ان القول بانحدار البرامكة من اصل ايراني ينتقض ايضا بما جاء به ابن الفقيه الهمداني (وياقوت حرفا بحرف) وهذا نصه :

« فلم يزل يليها برمك الى ان فتحت خراسان ايام عثمان بن عفان وقد صارت السدانة الى برمك ابي برمك ابي خالد فوجه برمك الى عثمان في الرهائن فورد المدينة ورغب في الاسلام فأسلم وسمي عبد الله ورجع الى ولده وصارت البرمكة في بعض ولده فكتب بعض الملوك الى برمك يعظم ما أتى من الاسلام ويدعوه الى الرجوع في دين آباءه فكتب اليه برمك اني انما دخلت فيه اختيارا وعلما بفضل من غير رهبة (ولا رغبة) (20) ولا ارجع الى دين بادي العوار متهنك للاستار فغضب الملك وزحف الى برمك بجمع كثيف فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واني ان استنجدت عليك الملوك انجدوني فانصرف والا صرت الى لقائك ، فانصرف عنه ووادعه ثم لم يزل ذلك الملك واسمه نازك (نيزك) طرخان يغتر برمك ويطلبه حتى بيته وقتله وعشرة بنين له فلم يبق لهم برمك سوى برمك ابي خالد فحملته امه وهربت به وكان صغيرا الى بلاد قشمير ، فنشأ برمك وتعلم النجوم والطب وأنواع الحكمة ، وبقي على شركه واصابهم وباء فتشاعروا بمفارقة دينهم فكتبوا الى برمك فقدم عليهم فاجلسوه في موضع ابيه فتولى امر النوبهار فسمي برمكا وتزوج ابنة ملك الصغانيسان فولدت له الحسن وبه كان يكنى وخالدا وعمرا وام خالد ، وسليمان بن برمك من امراة غيرها من اهل بخارى وكان صاحب بخارى اهدى الى برمك جارية فولدت له كال بن برمك وام القاسم وبنسا اخرى (كتاب البلدان 323 - 324) .

يزال اقليم الهند الشمالية الذي ولد فيه بوذا يسمى « بهار » (Bihar) الى وقتنا هذا . وليس بمستغرب ان خفي الامر على العرب فانهم كانوا اعرف بكلمة « بهار » الفارسية فلذلك قالوا : « وتفسير النوبهار البهار الجديد لان « نو » الجديد ، وكانت سنتهم اذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا او طامتا شريفا كللوه بالريحان وتوجوا ذلك باول ريحان يطلع في ذلك الوقت ، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه اول ما يظهر من الريحان ، وكان البهار فسمى نوبهار لذلك « (ياقوت) ، هذا وقد اتفق للعرب ابان فتحهم للسند « ان عرفوا معابد البوذيين من قبيل وهار ، وهاك مما اورده البلاذري في وصف واحد منها :

وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالمدينة ، وكانت تدور ، والبذ نميما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم او اسنام ليشهر بها وقد يكون الصنم في داخل المنارة ايضا ، وكل شيء اعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بد ايضا .

او لا تؤكد المقارنة بين وصف معبد البوذيين هذا وبين وصف النوبهار بان الواحد لم يختلف عن الآخر ؟

كذلك نرى العرب يخطبون خبط عشواء في تفسير « برمك » فانهم لم يكونوا ليتصوروا ان تكون كلمة « مك (مكا) » غير « مكة » فاضطروا الى القول ان البرامكة « وصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ولما كانت ترميش ومن والاها من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام « (ياقوت) اما « بر » فقد كان في متناولهم كلمة « بور » بمعنى الابن بالفارسية فلجأوا اليها . ثم جاء المؤرخون واللغويون من الفرس فلم يكن منهم الا ان اعتمدوا على علمهم باللغة الفارسية فتخرصوا بان تكون « برمك » مشتقة من « برمكين » ثم دعموا هذا التخرص برواية مختلفة كما مر . ولكن الحقيقة التي تنسجم « وهار » واباها هي ان « برمك » اصلها باللغة السنسكريتية « برمك » ومعناها الصدر او ذو الرئاسة العليا ، لم يلقب بهذا اللقب احد من سدنة بيوت النار او معابد الجوس ، بل انما اختص به رؤساء النوبهار لاسباب ذكرناها آنفا .

ولعل من الواجب في هذا المقام ان اثبت ان اول من اشار الى كون « النوبهار » معبدا للبوذيين (وهار)

(20) كذا . زيادة في ابن الفقيه لا توجد في ياقوت .

هذا وقد جاء في النويري (نهاية الأرب 12/29)
 عن محمد بن العباس المسكي عن الأسباب التي
 حملت البرامكة على اللجوء إلى الهند ما هو أقرب إلى
 الصواب فإنه يقول : « لما قلت الأموال في أيديهم
 (الأمويين) شرعوا في مصادرات الرعايا وأخذوا
 الأموال من غير وجوهها وتعرضوا إلى أموال الأوتاف
 والإيتام فتعرض ولاية خراسان لبرمك ولولده وطالبوهما
 بالأموال وكان تحت يد برمك أوتاف جلييلة فهرب هو
 وولده من أعمال خراسان إلى بلاد الهند فاتموا بها
 إلى أن ظهرت الدولة العباسية ... ثم قدم خالد بن
 برمك وأخوه الحسين وأهلها على المنصور ، أبى
 جعفر لما أفضت الخلافة إليه فاصطنعهم وادناهم
 وتربهم الخ (نفس الرواية في صبح الأعشى 2/126)

أولا يجدر بنا أن نتساءل : لماذا هربت أم أبي
 خالد إلى بلاد قشمير ؟ لأن أصل البرامكة كان من
 الهند لا من إيران ولا يخفى أن قشمير كانت مركزا
 من مراكز البوذية مثل خراسان وتركستان وهناك
 نشأ برمك أبو خالد على دين آباءه . لاشك أن الفرس
 ادعوا انتماء البرامكة إلى جاماسب وزير كستاسب
 ليثبتوا أنها أسرة إيرانية عريقة في الوزارة ، كما أن
 العرب حاولوا ضم عظمة البرامكة إلى أنفسهم بدعوى
 أن أم خالد جليته من عبد الله أخي قتيبة لكنها دعاوا
 بقيت موضع الشك إلى أيامنا هذه . أما الماع الشعراء
 إلى عبادة النار في معرض هجو البرامكة فمن السهل
 جدا عدم الأخذ به لجهل العرب عامة بالفرق بين
 المجوس والبوذيين ولاطلاتهم « المجوس » على المعجم
 كلهم . وأخيرا لا ننسى أنه كان في مصلحة البرامكة
 التضامن مع الفرس لأغراض سياسية ظاهرة .

إن يتضح لنا كل الموضوع تلك الظاهرة القوية
 التي تستوقف كل من يتتبع حركة نقل العلوم والآداب
 الهندية إلى بغداد ، وهي عناية البرامكة القائمة بهذا
 الموضوع ، فإنا نراهم يستخدمون جميع الوسائل
 الممكنة لعرض ما للهند على العرب وهم في ذلك يبدون
 كأنهم يعرضون شيئا من عندهم على غيرهم . أنظر
 إليهم يستقدمون ابن دهن فيمهدون إليه بإدارة
 المستنفي المعروف باسمهم والإشراف على ترجمة

الكتب من السنسكريتية (الفهرست 2/45) ثم أنظر
 إلى جعفر البرمكي يقدم صالح بهلة إلى الرشيد لمعالجة
 ابن عمه إبراهيم بن صالح (21) ويمنح أبان الشاعر
 جائزة قدرها مائة ألف درهم على نظمه قصة كليلة
 ودمنة (22) أما تصب السبق في هذا الميدان فكان
 ليحيى بن خالد - حفيد أبي خالد الذي نشأ في بلاد
 قشمير وتعلم هناك « النجوم والطب وأنواع الحكمة »
 فإنه هو الذي جلب من الهند علماء وأطباء أمثال بهلة
 ومنكة وبازيكر قنبرقل وسندباد الذين أتموا ببغداد ،
 وربما أسلم بعض أولادهم مثل صالح بن بهلة والذين
 عرفوا العرب الطب والبلاغة عند أهل الهند (23) ،
 ولكن أهم الأعمال التي تمت على يدي يحيى بن خالد
 إطلاقا هو إرساله رجلا في بعثة علمية إلى الهند
 « ليأتيه بمقايير موجودة في بلادهم وأن يكتب لسه
 آديانهم » (الفهرست 345) فإن التقرير الذي وضعه
 هذا البعث ربما كان هو المرجع الوحيد للعرب
 والمسلمين في كل ما يتعلق بالموضوع طوال مدة قرنين
 إلى ظهور ذلك النايفه المحقق أبي ریحان البيروني .
 وقد وقع في يد ابن النديم نسخة من هذا التقرير
 مكتوبة « يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع
 وأربعين ومائتين » ومطابقة حرفا حرفا نسخة أخرى
 بخط يعقوب بن اسحق الكندي ، أورد منه ابن النديم
 مقتطفات تتضمن وصفا لبعض المعابد وقرق الهنود
 (الفهرست 345 - 349) ونجد بمقارنة بعض أجزاء
 هذه المقتطفات بما جاء في كتاب البدء والتاريخ
 (9/4 إلى 19) أن مؤلفه مطهر بن طاهر المقدسي ،
 ربما اقتبس من ذلك المصدر نفسه . ثم إن بيان مطهر
 ابن طاهر المقدسي كأنه جزء مما جاء (مترجما
 بالفارسية) في كتاب زين الأخبار لكرديزي في هذا
 الباب (24) وقد نص الكرديزي على أنه أخذ عن كتاب
 التواريخ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير
 بني سامان (أوائل القرن الرابع الهجري) ويذهب
 البروفسور مينورسكي إلى أن الجيهاني ربما اعتمد
 بدوره على كتاب المسالك الكبير (أصل المختصر
 الذي نشره دي غويه) لابن خرداذبه . هذا وقد
 عثرت أخيرا على مقطوعتين في كتاب أخبار الزمان
 المنسوب إلى المسعودي (القاهرة 1938 م ص 27)

(21) ابن أبي أصيبعة 34/2 .

(22) الجهشيارى 259

(23) البيان والتبيين 1 / 92 — منكه كان صحيح الإسلام ، كذا في الحيوان 213/7 .

(24) V. Minorsky: Gardizi on India, Bulletin of Lond

on, School of Oriental Studies, 1948, XII/3 & 4.

كانها اصل الترجمة الواردة في كرديزي (البندان 41 و 42) .

الهنود في العلوم والفنون المختلفة ، كما بسطها الجاحظ في رسالة فخر السودان على البيضان ، وكما يجملها قوله : « انها الامم المذكورون من جميع الناس اربع : العرب وفارس والهند والروم » (البيان والتبيين 1 / 137) اما استقصاء نتائج هذه الحركة فهو موضوع مستقل لا سيما اذا تفكرنا انها استمرت فيما بعد الى ان بلغت ذروتها في شخصية البيروني الذي مر ذكره آنفا .

فهذا هو الجو الذي ازدهرت فيه حركة نقل العلوم والآداب الهندية الى العرب وانما قصدنا الى ابراز بعض العوامل التي ساعدت في قيامها ، ولاشك انها بدأت قوية بحيث تكونت للعرب في اوائل القرن الثالث للهجرة فكرة واضحة جلية عن مدى براعة

البرانس (جبال) :

جبال البرانس ويقول لها العرب ايضا جبال البرنات ويقولون اذا تجاوزت معابر البرانصة فاعلم انك قد دخلت في افريقية (الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية لشكيب ارسلان ج 1 ص 24 ط مصر 1355 - 1936) وذكر ارسلان انها تسمى ايضا الجبل الحاجز او الفاصل (ص 36) ويسمون جبال فشتالة بجبل الشارات .

أبحاث عامة

- تاريخهم من لغتهم — أطلنطة —
● للاستاذ عبد الحق فاضل
- ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي
● للدكتور محمود عبد المولى
- ابن الحاجب المصري واثره في الدراسات اللغوية
● للدكتور عبد العال سالم مكرم
- علم الحركة في الفلسفة العربية
● للدكتور جلال شوقي
- الاتجاه النفسي في دراسات العقاد النقدية
● للدكتور احمد محمد الحوفي
- النظامة الالكترونية تحمي جذور مفردات اللغة العربية
● للدكتور ابراهيم أنيس
- سمات ومشابه عربية في ادب الكاتب الايطالي جوفاني فيرغا
● للدكتور عيسى الناعوري
- لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني
● للاستاذ سعيد الديوه جي
- دليل جديد على عروبة الارقام المستعملة في المغرب العربي
● لأبوفارس
- الاستعراب في ليننغراد
● للاستاذ فيكتور بيلاييف
- الاستشراق في رومانيا
● للوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى
- للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- صور ... لشاعر العروبة عزيز اباطة باشا
- الوديمة — الى مجلة « اللسان العربي »
● للاستاذ يوسف الغريب